رواية

قصر الخطايا

محمود سمير النشاشقي

دار دَوِّن

محمود سمير النشاشقي: قصر الخطايا، روايـــة
الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٥
رقم الإيداع: ٣١٦٥٨ / ٢٠٢٤ – الترقيم الدولي: 2 - 458 - 806 - 977 - 978

جَميـعُ حُـقــوقِ الطَبْـعِ والنّشرِ محـــفُوظةٌ للناشِرْ
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

إن الآراء الـــواردة فـــي هـــذا الكتـــاب
لا تُعبـــر عـــن رؤيـــة الناشـــر بالضـــرورة
وإنمـــا تعبـــر عـــن رؤيـــة الكـــاتب.

© دار دَوِّنْ

عضو اتحاد الناشرين المصريين.
عضو اتحاد الناشرين العرب.
القاهرة - مصر
Mob +2 - 01020220053
info@dardawen.com
www.Dardawen.com

إهداء

إلى د. (رفعت إسماعيل)، وبالطبع إلى د. (أحمد خالد توفيق)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

سورة الإسراء، الآية (٨٥)

مقدمة لابد منها

هل فكرت يوماً أن تدخل بكامل إرادتك قصراً مهجوراً؟

هل فكرت يوماً أن تقيم واحدة من أهم مناسباتك في قصر يخاف الجميع الاقتراب منه؟

هل لديك الجرأة على تخيل ما سوف يحدث حين يجتمع ثمانية من أشهر المشاهير على الساحة في وقت واحد ومكان واحد لم يدخله الناس منذ عقدين من الزمن؟

تخيل أنك معهم في قصر مهجور ملعون لديه رصيد وفير من الحكايات المرعبة على مدار سنوات طويلة، الأمطار تسقط بغزارة وهزيم الرعد يرج أركان القصر بقوة، والبرق يضئ القصر المظلم ويجعل التماثيل تبدو وكأن الحياة دبت فيها وتنظر لهم بسخرية، والبرد يحول المكان كثلاجة الموتى، وتسمع أصوات أشباح تتحدث معك وتخبرك بأنك حبيس معهم الليلة وربما ستظل حبيساً معهم إلى الأبد، وليس أمامك سوى قرار واحد يجعلك تنجو من كل هذا، فهل لو كنت أنت في وسط كل هذا ستتمالك أعصابك.

سأحكي لك الآن ما حدث معهم في تلك الليلة فأنا كنت قريباً منهم بما فيه الكفاية لأعلم كل شيء، فعملي في الصحافة الأدبية جعلني صديقاً مقرباً منهم.

الراوي

-١-

ظهروا بسرعة البرق على الساحة الأدبية، وربما كان السبب في هذا يرجع إلى أن عددًا كبيرًا منهم كان لديه برنامج إذاعي أو تلفزيوني، أو صفحة فيها عدد كبير من المتابعين الذين ينتظرون البث اليومي لهم، فبعضهم كان محتواه حكايات الرعب، وبعضهم كان محتواه التحدث عن خبراته في الحياة -والتي لا تستند إلى أي مراجع علمية أو دراسية-، بل وجهات نظرهم الشخصية، وبعضهم كان محتواه آخر صيحات الموضة والميك أب، فكثر عدد المتابعين، وتسارعت دور النشر على التعاقد معهم لإصدار كتب لهم تتعلق بما يقدمونه للمتابعين، والسبب بالطبع هو شهرتهم، ومتابعة الناس لكل ما يتعلق بهم.

ومع صدور أول كتاب كان كلٌ منهم ضيفًا معتادًا على البرامج التلفزيونية المختلفة، ووجهًا مألوفًا في اللقاءات الصحفية، وكانت أسماء هؤلاء الكُتّاب العمانية تتصدّر محركات البحث، فزادت شعبيتهم. فكل ما هو مألوف للعين في زمننا الحالي ينتشر أسرع من سرعة الضوء.

وصدر بعد الكتاب الأول الثاني والثالث، بل إن بعضهم أصبح لديه سلسلة كتب في التخصص الذي يكتب فيه، وبدلًا من البرنامج الواحد اثنان وثلاثة، وأحدهم أصبح مُعدًا مشهورًا لأكثر من برنامج، حتى إنه أصبح يشترط مبلغًا معينًا لعمل برنامج جديد أو لإجراء حوار معه، والفضل بالطبع يرجع إلى المتابعين الذين يزدادون يومًا بعد يوم.

وأصبحت السمة التي تجمعهم هي الغرور، وهو أمر متوقع، فقد كانوا قبل سنوات قليلة لا أحد يعلم عنهم شيئًا، وفجأة أصبح عدد من يحضرون البث المباشر لهم يتخطى الآلاف، وبدلًا من الكتاب الواحد، إصدارات كثيرة، أليس كل هذا سببًا كافيًا يجعلهم يغترُّون بأنفسهم؟

مرت الأيام وزادت شهرة مُقدِّم برامج الرعب، وفي حلقة من حلقات برنامجه المشهور، والتي ثُبِتُّ على الأثير مباشرةً، اتصل أحد المستمعين، وقال له شيئًا لم يخطر على باله أن يحدث له على الهواء مباشرةً، فقد اعتاد أن تفيض الاتصالات كلها بالإعجاب والثناء عليه، فقال له المتصل:

إنني لأتعجَّب من محتوى برنامجك وكتبك، فأنت تزعم أنها أشياء حدثت لك، أو قصها عليك الناس، ولكنني تتبَّعت كل ما ذكرته في حلقات برنامجك وكتبك، فوجدتها مأخوذة من روايات وبرامج أجنبية، فلماذا هذا الادِّعاء والتلفيق، لماذا تُصر على أن تكون أفَّاقًا.

وبسرعة، أشار مقدِّم البرنامج إلى مهندس الصوت بقطع الاتصال، ثم قال:

يبدو أن الاتصال قد انقطع، وأظن أن المتصل أراد أن يكون ترند اليوم، فاتصل لكي يتهمني بالأشياء التي ذكرها، أو أنه أحد أعداء النجاح، ولكني أريد أن أقول له بأني لو كنت كما هو ذكر، فكيف لي أن أستمر لمواسم إذاعية، أو تستمر سلسلة كتبي في الصدور، وتتصدر المبيعات.

ومع اقتراب موعد معرض الكتاب، كان كل كاتب يقوم بكتابة

منشور عن أحدث أعماله، ويخبر جمهوره أنه بانتظارهم في المعرض للتوقيع على الكتب، وكما هي العادة تصدّرت كتبهم المبيعات في المعرض، فقد أصبحوا مثل أبطال السينما نجوم شبّاك؛ ما إن يصدر فيلم جديد لهم حتى يتصدر الإرادات، وهو ما حدث لكتبهم.

واشتكى عدد كبير من متابعيهم من خلال التعليقات بأنهم لم يستطيعوا الحضور للمعرض بسبب ظروف الامتحانات أو ضيق الوقت، وطالبوهم بأن يقوموا بعمل حفل توقيع للكتب الجديدة. ونزولًا على رغبة العشرات، بل المئات من المتابعين، قام كلٌّ منهم بكتابة منشور ذكروا فيه أنهم قد اتخذوا قرارًا بعمل حفلة توقيع للكتاب الجديد الخاص بكلٍّ منهم، وطلبوا من المتابعين أن يختاروا المكان الذي يريدون أن يُقام فيه الحفل.

وعلى صفحات الكُتّاب الثمانية، أتت التعليقات المختلفة عن المكان الذي يختاره كل متابع لكي يكون هو مكان حفل توقيع الكتاب الجديد، فذكر بعضهم مكتبة كذا المشهورة في إحدى ضواحي القاهرة، أو مكتبة كذا المشهورة في وسط البلد، أو في نادٍ كبير مشهور، أو في إحدى المدن الجديدة، ولكن كان أغرب اختيار عبارة عن قصر قديم مهجور على أطراف العاصمة، غرف عنه الغموض والكثير من الحوادث والحكايات الغريبة، حتى إن من يسكنون منطقته حين يمرون عليه لا ينظرون إليه؛ لأن بعض الناس قالوا إن القصر يسلب عقل من ينظر إليه طويلًا.

الغريب في الأمر أن نفس الاختيار ذُكر في صفحات الكُتّاب الثمانية، وحصد التعليق أكبر عدد من علامات الإعجاب في

الصفحات، خاصةً صفحة مُقدّم برامج وكتب الرعب، وكان السبب في ذلك حسب تعليقات الإشادة بالاختيار أن هذا المكان لم يُقَم فيه من قبل حفل من هذا النوع، وربما آخر حدث حضره عدد كبير من الناس فيه منذ أكثر من أربعين سنة على الأقل، وسوف يكون حدثًا فريدًا من نوعه إذا أُقيم الحفل فيه.

فاستغرب الكُتّاب هذا الاقتراح، والتفّ عدد كبير من الناس حوله، ولأن هؤلاء الكُتّاب يعرفون بعضهم بسبب الشهرة التي اكتسبوها في فترة وجيزة، وحلولهم ضيوفًا مشتركين على أغلب البرامج؛ تواصلوا مع بعضهم وقرروا أن يلتقوا سويًا حتى يناقشوا مع بعضهم هذا الأمر.

وبالفعل التقوا جميعًا في أحد النوادي، وتحدثوا عن الأمر. فقال مقدم برامج الرعب، وكان اسمه (رامي شلبي): إن أكثر شيء أستغرب منه لماذا هذا القصر يختاره الناس في صفحتي وفي صفحاتكم، على الرغم من وجود عدد كبير من الأماكن المعروفة!

فأجابه مُعد البرامج المشهور (حامد السلحدار): إنه أمر غريب بالفعل، وربما هو من فئة من أعداء النجاح يريدون الإيقاع بنا.

فقالت خبيرة التجميل (نجلاء فوزي): ليس هذا هو المهم الآن، لقد أصبحنا أمام الأمر الواقع، فكلٌ منا قال في منشوره أن أكثر مكان سيقع الاختيار عليه سيكون هو مكان حفل التوقيع.

وأكّدت على قولها صانعة المحتوى الخاص بالنصائح (نبيلة المتولي) قائلةً:

معكِ حق، لو رفضنا إقامة الحفل في ذلك القصر سوف يتهمنا الناس بالجبن وعدم المصداقية، وربما يكون هذا القصر مفتاح شهرة أكبر لنا؛ لأن كثيرًا من القنوات ستريد التواجد في الحفل لرؤية القصر الذي ثُثار حوله الحكايات المرعبة.

فقال (رامي شلبي): تفكيرك صحيح يا (نبيلة)، وأنا معكِ في هذا الرأي، والآن ما رأيكم في أن يكون حفل التوقيع جماعي، ليطمئن كلٌ منّا لوجود أكبر عدد من الناس فيه، بخلاف أن الاقتراح قد تم اقتراحه علينا جميعًا.

فوافق الكُتّاب الثمانية على إقامة حفل توقيع جماعي في يوم واحد ووقت واحد، خاصةً وأن قصرًا كبير المساحة سيتسع لعدد كبير من الحضور، وعدد من الطاولات لتوقيع كلٌ منهم، فقرروا دعوة عدد كبير من مقدمي البرامج التلفزيونية والإذاعية والصحفيين وصانعي المحتوى، لكي تتم تغطية الحفل بشكل واسع، مما يعني مزيدًا من الشهرة لهم.

واتفقوا على اليوم، وقام كلٌ منهم بكتابة منشور على صفحته، وكان فحواه:

نزولًا على رغبة القراء الأعزاء، فقد تم اختيار القصر لكي يكون مكان إقامة حفل التوقيع، وليس هذا فحسب فسوف تكونوا على موعد مع عدد كبير من الكُتّاب المحببين لقلوبكم، وسوف تتم تغطية الحفل من خلال عدد من القنوات، فكونوا على الموعد يوم الخامس من مايو في تمام الساعة السابعة مساءً.

وكان هذا المنشور على صفحات الكتاب الثمانية أكثر منشور

تفاعل معه الناس في الفترة الأخيرة، وكتبت عنه الصحف والمواقع الإخبارية، وتحدث عنه مقدمو محتوى الرعب، وهذا أمر متوقع، فكيف تريد أن يتلقّى الناس خبر عمل حفل في قصر لا يوجد له في مخيلة الناس أي معلومة حميدة، وكل المعلومات عنه مخيفة ومريبة، فتحوّل تاريخ الحفل إلى هاشتاج من وقت الإعلان عنه وحتى يوم إقامة الحفل.

-٢-

في يوم الحفل، تحولت المنطقة المهجورة التي لم يكُن أحد يجرؤ على الاقتراب منها إلى محط الأنظار، فالجميع يترقَّب موعد إقامة الحفل، ويتساءلون ماذا سوف يحدث الليلة! فلم يقترب أحد من القصر العتيق منذ سنوات طويلة؛ خوفًا من أن يصيبه مكروه مثلما أصاب آخرين من قبل، وأصبحوا حكايات تُروَى على ألسنة سكان المنطقة، وفجأةً يصبح القصر حديث المدينة لما سوف يحدث فيه الليلة، فقال بعض الناس أن الحفل سوف يتحول إلى كارثة أو مذبحة، ولن يستطيع أحد أن يُحصي عدد الضحايا بسبب كثرة المدعوين، وحاول البعض التخفيف من هول هذا الكلام؛ لأنهم لا يصدقون التخاريف التي يطلقها الناس حول القصر، وقال بعضهم لننتظر قدوم الليل وسوف نعرف كل شيء.

كانت حديقة القصر قبل الليلة كئيبة موحشة المنظر، فالنخيل والأشجار المختلفة الأنواع تحف القصر من كل جانب وكأنها أسوار قلعة حصينة، فلم يهتم أحد بها منذ سنوات طويلة، بعد أن كانت في الماضي مثل الجنة المتنوعة الأشجار والثمار، وتتغنى على أفرعها العصافير، فتحولت إلى جذوع خالية من الحياة، خاصةً الأشجار القريبة من مدخل القصر، أما الأشجار القريبة من أسوار القصر، فكانت أوفر حظًا لقربها من الشارع، حيث مياه الأمطار وبعض أهل الرحمة الذين كانوا يهتمون برش المياه عليها، فكان مدخل القصر يُوحي للغريب بأن القصر يسكنه بشر بسبب الأشجار المورقة حوله، أما مَن كان يحاول أن يسترق النظر لما خلف بوابة القصر من

الشقوق التي فيها، فقد كان يصيبه الذهول لمنظر الأشجار الجافة التي بداخل الحديقة، وكأنها في مكان آخر.

وبسبب الحفل، تولّت شركة تنظيم حفلات تزيين القصر ومدخله والحديقة ببعض الديكورات الحديثة والأنوار المختلفة، وبسبب تلك الزينة دبّت الحياة في القصر المهجور، وكأنها أعادته للحياة بعد سنوات من الهجر، تصل إلى أكثر من قرن ونصف؛ فقد حفرت على واجهته سنة بنائه، هي سنة ١٨٦٠، وكانت الأنوار تُضفي على القصر رونقًا إضافيًا لرونقه المعماري المبني على الطراز الإيطالي المميز الذي كان سائدًا في فترة بنائه، وكأنه قصر لأحد أفراد العائلة المالكة، ولكن لم تتم عملية تنظيف خارجية له؛ فقد أصرّ الكتّاب على أن يحافظوا على وضعه الحالي لإعطاء فرصة للناس على رؤية القصر الذي كانوا يخافون الاقتراب منه ورؤيته على حالته، واكتفت الشركة بتنظيف الطابق الأول، والذي سيكون مكان حفل التوقيع واستقبال ضيوف الحفل. فبهو القصر يتسع لوضع طاولة كبيرة عليها المشروبات وبعض المقبلات، ولوضع أكثر من طاولة لتوقيع كتب أربعة من الكتّاب، وأربع غرف على كل جانب من أركانه، وغرفتان يتّسعان لبقية الكتّاب.

وبرغم قِدَم القصر وسنوات هجره الطويلة، فإن المكان كان لا يزال يحتفظ بأثاثه العتيق الطراز وذوقه الفريد، فالثريات المُعلقة بالسقف مصنوعة في إيطاليا كانت تُصنع نزولًا على طلب خاص، وسقف البهو الذي تعلوه قبّة زجاجية مزدانة برسومات مختلفة الألوان حين تسقط عليها أشعة الشمس أو القمر، ترسل سهامًا من الضوء الخلاب يسلب العقل والعين بروعة فنّها، والتحف المنثورة

بأركان البهو أصلية من دول مختلفة؛ حيث كان ساكنو القصر الذين سكنوه على فترات متلاحقة يضيفون إلي القصر بعض مشترياتهم من التحف، حتى تشعر أنك في متحف للتحف القديمة النادرة، بجانب بعض الشمعدان الفضي الموضوع فوق المدفأة التي تتوسط أحد الأركان، وأمامها على الجانب الآخر توجد ساعة قديمة غريبة الشكل، فهيكلها مكوّن من عامود طويل يماثل قامة الإنسان، ولكنه مكوّن من أشكال أطفال لهم أجنحة، وهذا الشكل معروف في الفن بأنهم يمثلون الملائكة في الحضارات القديمة، ومن أعلى العمود يوجد شكل دائري عبارة عن قلب الساعة وعقاربها، ويهبط منها جندول متحرك يعبّر عن الثواني، وتعمل هذه الساعة بتحريك محرّك يدوي يتم ملؤه بالحركة، يكفي لعدد معين من الوقت، وكان بالقرب من السلم الرئيسي للقصر بيانو قديم محفور عليه اسم صانعه وسنة صنعه، والتي كانت ١٨٦٠، وبالرغم من قِدَمه، كان بحالة ممتازة، ولا يزال يعمل، وكانت جدران القصر مزينة بزخارف آية في الجمال، فكل جزء منها رُسم عليه ما يكوّن لوحة فريدة من أشهر اللوحات العالمية التي كانت مشهورة في وقت بناء القصر، وكانت توجد بأعلى الجدران نوافذ زجاجية ملونة، رُسم عليها لوحات رومانسية تُضفي علي القصر من الداخل رونقًا خاصًا، وعلى الجانب الأيمن والأيسر من البهو كانت توجد صور معلقة لنساء ورجال، يبدو أنهم سكان القصر السابقون؛ نظرًا لملابسهم الأنيقة القديمة، وكانت الغرف لا تختلف كثيرًا عن البهو؛ فقد كانت تتميز بالتحف المختلفة، وصور شخصية قديمة للسكان، وغرفة منها كان يوجد بها مكتب ومدفئة وصالون خشبي قديم، تمت إعادة تنظيمها، وإضافة عدد

من الكراسي لضيوف حفل التوقيع، وغرفة كانت توجد بها مكتبة ضخمة وصالون على طراز مصري يُعرف بالأرابسك، وتم تنظيمها كسابقتها، أما الثالثة والرابعة، فيبدو أنهما كانتا مخصصتَين لاستقبال الضيوف، وإقامة جلسات خاصة؛ لأنه كان يفصل بينهما باب زجاجي سهل الفتح، وكذلك لوجود عدد كبير من الكراسي فيهما، فتم تنظيف الغرفتين وتهيئتهما، ووضع الكراسي الحديثة بهما.

وبعد أن تمت تهيئة البهو والغرف الجانبية، سأل مسؤول تنظيم الحفل عن الطابق الثاني، حينها نظر الكُتّاب الثمانية لبعضهما، وكأن السؤال لم يخطر على بال أحد منهم من قبل، فصمتوا قليلًا، ثم قطع (رامي شلبي) حبل الصمت، وقال:

لا نحتاجه في شيء، فمساحة البهو والغرف تتسع لعدد كبير من الحضور، بل ويزيد، وأظن أن ما قمتم به من مجهود وتنظيم يكفي الحفل، فباسمي وباسم زملائي نشكركم على التنظيم الرائع للمكان، ولكني أريد منكم أن يقف اثنان على عتبات السلم المؤدي للطابق الثاني لمنع أي شخص من الصعود إليه، فكما تعلم أن مكان كهذا سيكون لدى الكثير من الناس الفضول لاستكشافه، ولا نريد أيًا من المتطفلين العبث بمحتويات القصر؛ لأننا قد كتبنا تعهدًا على أنفسنا بالحفاظ على مقتنياته الثمينة من التلف أو الضياع.

فقال مسؤول تنظيم الحفل: معك حق بالطبع، وسوف ننفذ ما طلبته.

وبعد أن انصرف الرجل قال (حامد السلحدار) لـ(رامي): هل حقًا

كتبت تعهدًا بالحفاظ على مقتنيات القصر؟

فأجابه (رامي): لا، ولكن ستكون كل العيون على الحفل الليلة، ولا نريد أن يهاجمنا أحد المهتمين بالتراث إذا قارنوا صور القصر القديمة بلقطات الكاميرات أثناء الحفل، ويتهموننا بتبديد محتويات القصر من أجل إقامة الحفل، فرأيت أنه من الأفضل وضع اثنين من شركة التنظيم لمنع أي أحد من الصعود للطابق الثاني، فالطابق الأول سيكون كلٌ منا في أرجائه، ولن يستطيع أحد العبث بمحتوياته، هذا بجانب أننا لا نعلم حقيقة القصص المُثارة حول القصر، ولا نريد حدوث شيء يُفسد علينا الحفل الذي سوف يتابعه الآلاف، وربما يتخطى المليون على القنوات التلفزيونية، ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.

فقالت (نبيلة المتولي) وهي تضحك: هل تخاف من الأشباح يا مقدم برامج الأشباح؟

فأجابه (رامي) وعلى وجهه علامات الضجر: ليس الخوف، ولكن زيادة الحرص واجبة، فكل مجهول يجب الحذر منه.

فقالت (نجلاء فوزي): أنا أتفق مع (رامي)، نحن لا نعلم شيئًا عن هذا المكان، إلا ما تقشعر له أبداننا، وعلينا الحذر من أي شيء، وأرى أن هذا الطابق يكفي لنا وللناس، فهيا بنا لنستعد للحفل، ونكُف عن الجدال.

ومرت الساعات وكل شيء قد تم تنظيمه وترتيبه كما تخيل الكُتّاب العمانية لحفل الليلة، ومع اقتراب وقت الحفل كان الليل قد أرخى سدوله، وألقى القمر ضوءه على القصر، فأضاف لشكله بهاءً ورونقًا

بجانب أضواء الزينة المحيطة به، وتم تشغيل الثريات العتيقة، فأطلقت نورًا وهّاجًا يفوق أضواء الزينة الحديثة، فتحوّل بهو القصر إلى ما يُشبه بهو القصور الخرافية التي تراها في حفلات الموسيقى الكلاسيكية أو الأفلام التي تصور الحِقَب الفيكتورية، أو قصر الإليزيه أو قصر عابدين، فأصاب الذهول الجميع، منظمي الحفل والكُتّاب والصحفيين ومراسلي القنوات التلفزيونية، وكل من حضر الحفل، وأصبح لدى الجميع توقُّع وحيد، وهو أن هذا الحفل سيكون حفلًا خياليًا بل أسطوريًا، وسيظل عالقًا في الأذهان لفترة طويلة، بل لسنوات، فروعة القصر والرسومات التي تزين جدران القصر وسقفه، والتي ظهرت بعد الإضاءة سلبت عقول الجميع، وتمنى كل واحد منهم أن يعيش في مثل هذا المكان، ولو ساعة واحدة للتمتُّع بجماله، وندموا على ترديد الإشاعات المخيفة حول القصر، والتي كانت تنتقص من جماله وروعته، وشعروا بأنهم أصحاب حظ كبير لوجودهم في مثل هذا الحفل النادر، والاقتراب من رؤية مقتنيات القصر الفريدة التي قد لا توجد في أفخم القصور المعروفة.

وما هي إلا دقائق معدودة حتى دقت الساعة الملائكية الموجودة على جدار البهو مُعلنةً حلول الساعة السابعة موعد الحفل، فتدفَّق المدعوون من باب القصر، وعلى وجوههم علامات الانبهار بالمكان، فقاموا بالتجوُّل في بهو القصر، حتى تشعر كأنهم قد نسوا السبب الذي دعاهم للحضور من روعة القصر، وبعد أن أفاق الجميع من لذّة الجمال، أخذ كلٌ منهم كأسًا من العصير الموضوع على طاولة المشروبات، ثم اتجهوا نحو مكان تواجد كاتبهم المفضل ليستمعوا إليه عن فحوى كتابه الجديد، ويوقع لهم على الكتاب، وكلٌ منهم

يشعر بأنه ذو حظ عظيم لوجوده في حفل توقيع نادر الحدوث في قصر باهر بديع وفريد من نوعه.

-٣-

بدأ الحفل، وفي كل مكان مخصص للكُتّاب الثمانية كانت الكراسي الموضوعة بكل موضع أو غرفة ممتلئة بالناس، وكان عدد الواقفين لا يقل عن عدد الجالسين، وكانت كاميرات التصوير تلتقط الصور وتسجل فعاليات الحفل، وتنتقل بعضها بين الغرف لتسجل فقرات من كل حفل توقيع، فتجمُع ثمانية من الكُتّاب في مكان واحد ووقت واحد في قصر مريب، هو حدث لا يتكرر حدوثه، ووجب تصوير أكبر قدر منه.

كان الوضع في كل موضع يبدأ بكلمة ترحيب من كل كاتب، ثم الأسئلة التي يطرحها الحضور وأهل الصحافة والتلفزيون، ثم توقيع الكتاب الجديد لكلٍّ منهم.

وكان مقدم البرامج وكاتب الرعب (رامي شلبي) يستحوذ على أكبر عدد من كاميرات النقل التلفزيوني، وهذا أمر متوقع لأنه أكثر الكُتّاب شهرةً، فانهالت الأسئلة عليه، وكانت فحواها؛ هل ساوره الخوف من إقامة الحفل في هذا القصر المهجور الذي يخاف الناس الاقتراب منه، وهل كانت موافقته نزولًا على رغبة القراء، أم خوفًا من أن يتهمه الناس بالخوف لو لم يوافق على طلبهم، إلى آخر الأسئلة، ولكنه كان يقابل كل سؤال بالابتسام ملء شدقيه -أي أن فمه امتلأ بصوت القهقهة الصادرة من قوة ضحكته- وكان يجيب عنها بأنه لو كان يخاف كما قد يتصور بعضهم، فلماذا لا يخاف وهو يقدّم برامجه عن الرعب، أو عندما يكتب عن الرعب وقال لهم أيضًا:

لقد أُعجبت بطرح فكرة التوقيع في هذا القصر، فأنا أعلم هذا

القصر جيدًا، ولأن الفكرة جديدة من نوعها أردت أن أخوض التجربة؛ ففرصة مثل هذه لا تُتاح دائمًا، وكذلك حين وجدت أن الطلب نفسه طُلب من السادة الزملاء تشجّعنا لخوض التجربة سويًا، كما أريد أن أؤكد أن (رامي شلبي) لا يخاف من شيء، خاصةً ما يتعلق بالرعب والغموض.

تكررت الأسئلة والإجابات مع كل كاتب من الكُتّاب الثمانية، والذي اختلف كان مع صانعة المحتوى الخاص بالنصائح (نبيلة المتولي)؛ فكان السؤال التالي:

لماذا وافقتِ على إقامة حفل توقيع كتابك الجديد في قصر مرعب مثل هذا، هل تفكرين بأن تنصحي المتابعين بخوض فكرة تحدي الرعب والخوف من الأشياء التي يخافونها؟

فابتسمت (نبيلة) وقالت: ربما ما تقولينه صحيح، فعلى المرء أن يواجه مخاوفه حتى يتحرر منها.

وفي مكان تواجد خبيرة التجميل (نجلاء فوزي) سألتها إحدى الحضور وقالت لها:

لماذا إقامة حفل توقيع كتابك في مكان مرعب مثل القصر، على الرغم من أنك تتحدثين عن الجمال والرقة؟

فقالت (نجلاء) مبتسمة: ربما إضافة جو من الغموض على الجمال يُوحي بالرغبة في معرفة الجديد، فكل غامض مرغوب، ومحاولة التجديد أمر مطلوب، وأريد منكِ أن تقومي بتطبيق الوصفات التي ذكرتها في الكتاب الجديد في ضوء خافت، أو على ضوء الشموع،

مع تشغيل موسيقى مرعبة، ثم تخبريني عن شعورك وقتها.

فضحك جميع الحضور، وكان أغلب الجالسين على المقاعد من النساء.

وبعد انتهاء فقرة الأسئلة، جاءت فقرة توقيع الكتب، وكانت كل قاعة أو موضع بها ما يقارب ثلاثمِئة نسخة من كل كتاب، وبيعت كلها في الحفل، وأخذت فقرة التوقيع أكثر من ساعة ونصف، بخلاف ساعة فقرة الأسئلة، وحرص الحضور على التقاط صور تذكارية مع كُتّابهم، حتى لو التقطوا من قبل صورًا معهم، فصورة الليلة مختلفة بالطبع؛ فهي لتوثيق الحدث الفريد في مكان فريد، وبعد التوقيع والتقاط الصور، والتي أخذت نحو نصف ساعة، قام كل كاتب من الكُتّاب الثمانية بالتقاط صورة جماعية مع الحضور، فأخبرهم أن يقفوا على هيئة صفوف متراصة، حسب طول كل شخص ثم يتقدم الجميع ويجلس على كرسي مثل الصور التذكارية القديمة التي كان يتم التقاطها في حفلات المدارس الكبرى، فكانت الصور فريدة من نوعها مثل الحدث الذي تخلّده، وفرح الجميع بالتقاط مثل هذه الصورة؛ فهي بالطبع سوف تكون على صفحات المجلات والجرائد وتتصدر مواقع التواصل الاجتماعي، وسوف تصبح (ترندًا) لأطول فترة ممكنة.

وبعد التقاط الصورة الجماعية، كان مراسلو قنوات التلفزيون يقومون بعمل لقاءات تلفزيونية مع كل كاتب، وكانت الأسئلة لا تختلف عما ذُكرت في الحفل، وعبّر كلٌ منهم عن سعادته بالحفل وبنجاحه. فحضور كل هذا العدد دليل على النجاح، وبأنه سيبقى في

ذاكرة كلٍّ منهم كأحد الأيام المميزة في حياتهم.

ومر الوقت بسرعة، فما أسرع الساعات السعيدة؛ تمر بك مسرعةً فلا تشعر بمرور الوقت، فقد مرت أكثر من أربع ساعات سريعًا، فأصبحت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشر، وبدأ الحضور بالانصراف، بعد أن قضوا وقتًا ممتعًا، وتجربة فريدة من نوعها في حياتهم، ثم قام الإعلاميون والصحفيون بالانصراف أيضًا، وبدأ أفراد شركة التنظيم بجمع الديكور والكراسي، وتنظيم المكان كما كان على حالته السابقة، فأصبح القصر على نفس الهيئة التي كان عليها قبل الحفل، مع اختلاف بسيط، وهو عدم وجود الأتربة وبيوت العنكبوت التي كانت تغطي جمال التحف والأنتيكات النادرة الموجودة في القصر، وبعد أن انتهوا من تهيئة المكان، قام مسؤول الشركة بسؤال الكُتّاب عن رأيهم في تنظيم الحفل ومدى رضاهم عنه، فأخبروه أنه كان أنجح حفل توقيع لهم، وأنهم سوف يتعاونون مع الشركة في كل الحفلات القادمة.

وانصرف أفراد الشركة المنظمة، ثم انصرف أصدقاء الكُتّاب أيضًا، ولم يتبقَّ في القصر إلا الكُتّاب الثمانية، فجلسوا في بهو القصر يُعبّر كلٌ منهم عن فرحته بنجاح الحفل، ثم سمعوا صوت زخات المطر وهي تتساقط بالخارج، وبدأت الأمطار في التزايد، حتى أصبحت غزيرة، فقالت (نبيلة): من يتطوع بأن يقوم بإشعال المدفأة؛ فقد أصبح الجو باردًا مع هطول الأمطار.

فأجابتها (نجلاء) وهي تضحك: على السادة الزملاء الرجال أن يتطوع واحد منهم ويقوم بإشعال المدفأة، فنحن رقيقات، لا تليق بنا

مثل هذه الأمور.

فضحك (حامد السلحدار)، وقال: بالطبع، فأنتن تخافن على رقة بشرة أيديكن، سأقوم أنا بإشعالها، فبجانبها الفحم الخاص بها.

ثم اتجه (حامد) نحو المدفأة ووضع كمية من الفحم، ثم أشعل النار فيها، وقام بتقليبها بسيخ حديد مخصص لها، وما هي إلا لحظات بسيطة حتى غمر الدفء بهو القصر، وشعر الجميع بالدفء.

كان بهو الفندق وجنباته منذ وقت الحفل تضيء بإنارة باهرة، تُشعرك وكأنك في ساعات الصباح من شدة ضوئها، ولكن الوضع خارج الفندق كان عكس هذا تمامًا، فبعد أن قام عمال الشركة المنظمة للحفل بإزالة أسلاك الإنارة التي وضعوها، رجع القصر لحالته السابقة وشكله الكئيب المخيف، مُظلمًا، يوحي بالرعب لكل من يراه، خاصةً مع السحب الملبدة بالمطر.

وما إن شعروا بالدفء حتى أكملوا حديثهم، وتبادل الكُتّاب الحديث عن شعورهم حول حفل الليلة، فعبّر كلٌ منهم عن سعادته، وأن كلًا منهم يعتبر أن هذا اليوم أنجح يوم في حياته، على الرغم من شعور الخوف لدى كلٌ منهم قبل إقامة الحفل، فإن هذا الشعور قد تغير بعد هذه الليلة، وقال (هاني السعدي) مقدّم البرنامج الساخر: أعتقد أن شعورنا الآن كما يقول المثل الشعبي (اللي تخاف منه مفيش أحسن منه).

فضحك الجميع وأكدوا على قوله، ثم قال (نادر جابر) مقدّم برامج الطبخ: إنني أشعر بالجوع الشديد، وقد أتى الحضور على كل كميات الطعام والعصائر.

فقال (هاني): أنت كنت أكثر شخص فينا تتناول المقبلات يا رجل، ألن تكفّ عن تناول الأكل! ولكن معك حق، فأنا أيضًا أشعر بالجوع.

وكان الجوع هو شعور الجميع، فقال (رامي):

بما أننا جميعًا نشعر بالجوع، ما رأيكم أن نتصل بأحد المطاعم، ونطلب وجبات لنا؟

فوافق الجميع على هذا الاقتراح، ثم حاول الاتصال بأحد المطاعم، ولكن لم يجد إشارة لشبكة هاتفه المحمول، فحاول (نادر الاتصال)، ولكن الأمر نفس؛ لا توجد إشارة، ثم قام (هاني) بالاتصال، وكانت نفس النتيجة على الرغم من أن كلًا منهم شبكة اتصال مختلفة، فحاول كلٌ من الثمانية الاتصال، ولكن لا توجد إشارة، فقالت (نبيلة):

أظن لأننا في طابق أرضي لا توجد إشارة، فليصعد أحدٌ منا إلى الطابق العلوي، ربما يلتقط هاتفه إشارة!

فقالت (نجلاء): أنا لن أصعد، وأتمنى ألا يصعد أحد إلى الطابق العلوي، فنحن لا نعلم عن القصر ما يُطمئن، وكفانا بأن الطابق السفلي لم يحدث شيء فيه، فلنبقَ هنا، وليقُم أحدٌ منا بالخروج إلى خارج القصر، فربما تكون شبكة الهاتف أفضل حالًا من الداخل.

فقال (حامد): أتفق مع (نجلاء)، وسوف أخرج وأحاول الاتصال.

قام (حامد) من على كرسيه واتجه ناحية باب القصر، ووضع يده على مقبض الباب، وحاول فتحه، لكن الباب كان مُغلقًا، ولا يستجيب لمحاولاته المتكررة، ثم رجع (حامد) إليهم وقال:

هل قام أحد منكم بغلق الباب بالمفتاح؟

فقال (رامي): لا، فمنذ أن فتحت الباب صباحًا لمسؤول شركة التنظيم لم أغلقه، والمفتاح معي في جيبي.

وأخرج (رامي) المفتاح ثم اتجه ناحية الباب برفقة (حامد)، وحاول (رامي) أن يفتح الباب بالمفتاح، لكنه لم يستجِب، ولم يفتح.

فقال (رامي): ربما لأن الباب قديم لا يريد أن يفتح إلا من الخارج، فتعال لنخرج من شرفة الغرفة المطلة على الخارج، ثم نحاول فتح الباب.

واتجه الاثنان نحو الغرفة وحاول (رامي) فتح الشرفة، لكنها لم تفتح، وحاول فتح النافذة أيضًا وكانت نفس النتيجة، فساور الشك قلبه وعقله، وسرت في جسده قشعريرة، فمثل هذه الأمور لا تحدث معًا، إلا بسبب واحد لا ثاني له.

فرجع الاثنان إلى المجموعة وأخبراهم بأن الأبواب لا تستجيب للفتح، فأصابهم الفزع، وقالت (نجلاء) وهي تصرخ: ماذا تقول، الأبواب لا تريد أن تفتح، ونحن في قصر مهجور، هل تقصد أن..

وفي هذه الأثناء انقطعت الكهرباء، فصرخت (نجلاء ونبيلة)، وحاول البقية تهدئتهما، ثم قال (رامي): ربما بسبب غزارة الأمطار انقطعت الكهرباء، فأسلاك الكهرباء قديمة بالطبع، حافظا على هدوئكما! سوف أشعل أنا و(حامد ونادر وسامي) الشمعدانات الفضية الموضوعة فوق المدفأة، والموجودة في الغرف، ثم أحاول فتح الشرفة بمطرقة حديدية، أو أي شيء حديدي، وليجرّب كلٌ

منا فتح إحدى الشرفات أو النوافذ بنفس الطريقة، فربما تفتح لنا واحدة، ونستطيع الخروج من هنا.

-٤-

حاول كل فرد من المجموعة فتح النوافذ والشرفات، ولكنها لم تكُن تستجيب لمحاولاتهم، فحاولوا مرات ومرات، وفجأة وفي ذات الوقت حين كان كلٌ منهم يحاول فتحها حدث شيء عجيب وقف بسببه شعر رأسهم واقشعرت أبدانهم، فقد انسحبت من أيديهم المطارق والأدوات الحديدية التي كان كل واحد منهم يحاول الفتح بها، فهرول الجميع نحو بهو القصر فزعين، وتحدثوا في صوت واحد يملأه الفزع وقالوا:

لقد انسحبت المطرقة من يدي فجأة!

فصمت الجميع وعيونهم تكاد تخرج من أحداقها من الهلع، واستجمع (رامي) هدوءه وقال:

بعدما حدث الآن، أظن أننا نواجه أمرًا غير طبيعي.

فصرخت (نجلاء) وقالت: ماذا تريد أن تقول؟ هل تريد أن تقول بأننا نواجه شيئًا مرعبًا؟

فقال (رامي): لا يوجد تفسير آخر، فقد انقطعت الكهرباء أولًا بعدما كانت تعمل بكفاءة عالية، ثم اختفت إشارة شبكات هواتفنا المحمولة، والتي كانت قوية منذ بداية اليوم، ثم انغلقت الأبواب والنوافذ والشرفات التي كانت تقفل وتفتح بسهولة أثناء تنظيم المكان للحفل، والآن تنسحب فجأة من أيدينا الأدوات التي كنا نحاول بها فتح الأبواب والنوافذ، ومع ربط كل هذه الأحداث مع ما نعلمه عن القصص الغريبة عن هذا القصر، فلن نصل إلا لنتيجة

واحدة، وهي أننا نواجه شيئًا ليس طبيعيًا، شيئًا لا ينتمي لما نعرفه.

فقالت (نبيلة): هل تقصد أننا نواجه شيئًا خارقًا للطبيعة؟

فقال (رامي) بنبرة ممزوجة بالفزع والحزن: أجل.

وفي هذا الوقت ركض (وليد وهاني ونادر وحامد ونبيلة ونجلاء) نحو باب القصر، وأخذوا يضربون بأيديهم بقوة عليه في محاولة منهم لكسر الزجاج، أو ربما يسمعهم أحد، فخاطبهم (رامي) قائلًا: لن يسمعكم أحد؛ فبرودة الطقس مع غزارة الأمطار لن تجعل أحدًا يتواجد في الشارع بالقرب من القصر.

فأكّد (سامي) على قوله قائلًا: (رامي) معه حق، وزجاج الباب مصقول، فمهما حاولنا تهشيمه لن ينكسر.

وفي هذا الوضع العصيب انطفأت المدفأة، ونور شموع الشمعدانات التي كانت مشتعلة، وكان صوت الأمطار الغزيرة بالخارج الممتزجة بالبرق والرعد يزيد من خوف الأصدقاء، فحين تجتمع هذه المفردات الثلاثة (الظلام والبرودة وصوت الأمطار) سويًا، تكون النتيجة ثلاثية الرعب المعروفة للأبد، التي يهابها الجميع مهما حاول أي شخص إظهار عكس ذلك.

وفي هذا الوقت تردد صدى صوت غريب في بهو القصر، وكان هذا الصوت يقول:

صدقوا ما قاله (رامي) و(سامي)، فلن يسمعكم أحد، ولن يستجيب لكم أي شيء في القصر.

ازداد سريان القشعريرة في أجسادهم، وتسمّروا في أماكنهم وهم

ينظرون إلى بعضهم في رعب، وهم غير مصدقين أنهم سمعوا الآن صوتًا غير مألوف لهم، ثم قال (رامي) وقد تمالك أعصابه:

إن كان بالقصر شخص يحاول أن يبثّ فينا الرعب، فعليك بالظهور الآن، فأظن أن ما قُمت به، وبالطبع ما قد صورته من مشاهد تُظهر خوفنا قد يكفيك بأن تنشره، وتحصل على ملايين المشاهدات، هيا اظهر لنا، وكُفّ عن الاختفاء وعما تفعله!

فقال الصوت مرة أخرى وهو يضحك: ألا زلت إلى الآن يا مقدّم برامج الرعب الكبير لم تفهم ما يحدث لكم حتى الآن، حين قمت بتحليل ما حدث لكم تصوّرت بأنك قد فهمت، ولكن ما قلته الآن قد جعلني أضحك بصدق، على الرغم من أنني لم أضحك منذ عقود.

فقال (حامد): هل تقصد بأنك شبح يسكن هذا القصر؟

فقال الصوت وفي صوته الجدية: أجل.

جلست (نبيلة) و(نجلاء) على الأرض، وهما تولولان وتبكيان، وتلعنان اليوم الذي وافقتا فيه على القدوم إلى هذا القصر رغم كل ما سمعتاه عنه من حكايات مرعبة، وكان حال باقي المجوعة لا يختلف عنهما، وحينها تحدث الصوت يخاطبهم مرة أخرى، وقال:

تلومون أنفسكم الآن، وكلٌ منكم يدري أنه ما أتى إلى القصر إلا بسبب طمعه وجشعه، طمعه في أن يحقق أكبر مكسب من الحفل من خلال مبيعات كتابه الجديد، ومن خلال نسب مشاهدات برنامجه وصفحاته بعد الحفل، وجشعه في أن يحصل على شهرة أكبر وأموال أكثر من خلال الرعاة، أريد أن أخبركم شيئًا، إن كل ما سمعتموه

عن القصر ليس بتخاريف وأساطير كما كان يظن بعضكم، إن هذا القصر عاش به أكثر من شخص، وكل شخص كان لديه شخصية تشبه شخصية كلٌ منكم، وحكاية تقترب من حكاياتكم التي لا يعلمها أحد غيركم، وهذا معناه بشكل أوضح أنني لست الروح الوحيدة الموجودة بالقصر، أقصد لست الشبح الوحيد حسب تعبيركم، فمعي سبعة أرواح غيري، جميعنا محكوم علينا بالبقاء في هذا القصر؛ لأننا متنا فيه بسبب خطايانا التي فعلناها، ولم يُصفِح عنا من أذنبنا في حقهم، وأحدثكم أنا لأنني أول من سكن هذا القصر، بعد أن قُمت ببنائه على أحدث طراز في عصري، وحدث لي ما ذكرته لكم، وسكنه بعدي شخص آخر، ولكنه كان مثلي في الطباع، قاسيًا مؤذيًا، فكان مصيره مثل مصيري، وحاولت أنا وهو أن نحذِّر من سكن بعدنا في القصر، ولكنه لم يستجِب، واستمر في أفعاله حتى أصابه ما أصابنا، وهكذا أصبح القصر ملعونًا؛ لأن كل من سكنه كان له خطايا ولم يثب عنها حتى موته، فحُبست أرواحنا نحن العمانية، وبسبب تكرار عمليات الموت والانتحار لم يجرؤ أحد على العيش في القصر بعدنا، فهجره الورثة وكأنه ليس من أملاكهم حتى أصبح مثل أسطورة مرعبة لكل الناس، وظلت أرواحنا حبيسة فيه.

إن اللوحات المعلقة على جدران البهو والغرف في الطابق الأول هي صورنا الشخصية وتحتها أسماؤنا، انظروا جيدًا لها حتى تعرفوننا فالليلة طويلة، ومن يدري ربما تكونوا رفقاء لنا هذه الليلة فقط أو للأبد.

فصرخ (حامد) منهارًا: ماذا تقصد بكلمة للأبد؟

فأجابه الصوت: إن لكلٍّ منكم خطايا عليه الاعتراف بها، فإن كان صادقًا فيما سيقوله ويشعر بعدها بندمه على ما فعله، ربما تنكسر لعنة القصر، ويُسمح لكم بالخروج، وإن كان العكس فسوف تبقون هنا مثلنا كأرواح إلى الأبد، لأنكم قد تصيبكم لوثة عقلية تجعلكم تقتلون بعضكم، أو ينتحر بعضكم، فهل تعتقد أنه بعد أن يكتشف الناس اختفاءكم جميعًا، ثم يجدونكم جثثًا هل سيقترب أحد من القصر مرة أخرى، وتكون هناك محاولة لفك لعنة القصر؟

فقال صوت آخر ضاحكًا: أرى أن عددنا سوف يزيد بعد هذه الليلة، وسوف نأنس أكثر بوجود هذه الرفقة الجديدة.

فقال الصوت الأول: إن زميلي يُحب المزاح حتى في المواقف العصيبة؛ فهذا من طباعه، ولكن قوله ربما يكون حقيقيًا، الأمر بأيديكم، إن الأشجار الكثيفة والأسوار سوف تمنع رؤية سياراتكم، خاصةً مع عدم وجود أضواء، فالناس سوف تظن أنكم قد غادرتم القصر، ولن يقترب أحد من القصر، فقد وضعت الأقفال عليه كما كانت من قبل.

فقال (رامي) راجيًا: أرجوك، دعنا نخرج الآن وسوف نفعل ما تريده!

فقال الصوت ساخرًا: يا كاتب الرعب العظيم، أتخاف أن تبقى معنا ليلة واحدة، عن أي رعب تكتب إذن وأنت تخوض أول تجربة رعب حقيقة، أم أنك تعوّدت على قصص الرعب الملفقة التي تكتبها!

فقال (حامد) متوسلًا: نستحلفك بأن تدعنا نخرج، وسوف نكُفُّ عما كنا نفعله قبل الليلة.

فأجابه (الصوت) بحزم: الأمر ليس بيدي، إن كل شيء مُقدّر ومكتوب حدوثه، ولن يتغير شيء، والأمر كما قلت لكم بأيديكم أنتم، إذا اعترف كلٌ منكم بخطاياه، فسوف تُكتب له النجاة، ففكّروا جيدًا فيما قلته، والآن اذهبوا إلى لوحاتنا المعلقة حتى تتعرفوا علينا حين يقرر كلٌ منكم قراره؛ لأن شخصية كلٌ منكم أيها الكُتّاب الثمانية تشبه شخصية كلٌ منا نحن الأرواح الثمانية.

والآن سوف نترككم لكي تقرروا ماذا سوف تفعلون، ولكن لا تطيلوا التفكير؛ لأن الوقت في مثل هذه الأجواء يمر عصيبًا، وسوف يؤثر على عقولكم، ولا تنسوا أن تتعرفوا علينا من خلال اللوحات.

-٥-

اختفى الصوت، وكانت علامات الرعب والفزع ترتسم على وجوه المشاهير الثمانية، المرأتان كانتا تبكيان وتضربان رأسيهما بأيديهما، والرجال يبدو أن الدموع المحبوسة في حدقات أعينهم تنتظر أي أمر آخر حتى تنهال، وهذا أمر ليس بغريب في ظل ما يواجهون هذه الليلة، تخيّل أنك معهم في قصر مهجور ملعون، لديه رصيد وفير من الحكايات المرعبة على مدار سنوات طويلة، الأمطار تسقط بغزارة، وهزيم الرعد يرج أركان القصر بقوة، والبرق يضيء القصر المظلم، ويجعل التماثيل تبدو وكأن الحياة دبّت فيها وتنظر إليهم بسخرية، والبرد يحول المكان كثلاجة الموتى، وتسمع أصوات أشباح تتحدث معك، وتخبرك أنك حبيس معهم الليلة، وربما ستظل حبيسًا معهم إلى الأبد، وليس أمامك سوى قرار واحد يجعلك تنجو من كل هذا، فهل لو كنت أنت في وسط كل هذا ستتمالك أعصابك؟

بعد دقائق معدودة قطع (رامي) حبل الصمت قائلًا:

أعلم أن ما نواجهه الليلة هو أفظع شيء مررنا به في حياتنا، ولكن كما سمعتم، لا يوجد أمامنا خيار إلا مواجهة مصيرنا، وأن يعترف كلٌ منا بما قد فعل من خطايا.

فنهضت (نجلاء) من مكانها وصرخت في وجهه: لماذا تتحدّث وكأننا في لعبة بيت الرعب وأن الأمر بسيط، إننا رهن إرادة أشباح هل تفهم، أم لأنك معتاد على حكايات الرعب التي ترويها، فالأمر بسيط بالنسبة إليك!

فقال (رامي): أدرك ذلك، وأدرك أن الأمر صعب عليكِ وعلى الجميع، ولكن لا يوجد أمامنا سوى الاعتراف.

فقالت (نبيلة بحِدّة): الاعتراف؟ ومَن أدراك أن لدينا خطايا مثلك؟!

فأجابها: لأن اجتماعنا الليلة في هذا المكان ليس صدفة، وحديث الشبح الذي تحدث معنا يدل على معرفته أن كلًا منا لديه ما يخفيه.

فقال (حامد) بنبرة فيها ارتباك: هذا مجرد احتمال، ولكنه ليس بالأمر الأكيد، وربما هذا الصوت وليد ما نمر به من أجواء مرعبة في مكان مهجور مثل هذا.

فقال (سامي): لا أعتقد هذا، فكلام (رامي) صحيح، منذ بداية الأمر وأنا غير مطمئن لكل ما يحدث، وعلينا الآن أن نتمالك أعصابنا ونهدأ قليلًا، ونفكر جيدًا.

فأكّد (نادر) على كلامه قائلًا: وأنا أتفق مع ما يقوله (سامي)، علينا أن نهدأ الآن، ونذهب لنرى اللوحات المعلقة على الجدران، ونتعرف على أسماء أصحابها فربما تدلنا على شيء لا نعرفه، ويوضح لنا ما نجهله ولو قليلًا، ونبحث في بعض الأوراق القديمة، فلا بُدّ من عامل مشترك جعلنا نجتمع هنا.

بعد ثوانٍ قليلة قام الجميع واتجهوا نحو اللوحات، وأخرج (رامي) ولاعة سجائره لكي يشعل بها الشمعدانات، وأمسكها الرجال الستة وهم يسيرون خلف بعضهم، فبدأوا باللوحات الموجودة في البهو، فعلى الحائط الأيمن كانت هناك لوحتان معلقتان، يفصل بينهما نصف متر، كانت اللوحة الأولى مثل اللوحات التي تراها موجودة في

قصور أسرة (محمد علي)، ذات إطار خشبي مُذهّب عتيق، مرسومة بقدر كبير من الموهبة حتى تخيّل إليك بأن الشخص المرسوم حي وليس رسمة، فقد كانت اللوحة لشخص يرتدي بدلة سوداء مزينة بوسام، مثل الأوسمة التي تراها على ملابس رجال الدولة في الماضي، ويعتمر طربوشًا أحمر على رأسه، أبيض الوجه، وعيناه سوداوان، بهما نظرات حادة توحي بأن له شخصية قوية وقلبًا قاسيًا، وله شارب مُشذّب مرفوع من الطرفين، في الأربعين من عمره تقريبًا، مهيب الطلعة، ومكتوب أسفل لوحته (شاكر شلبي باشا)، فدققوا النظر في ملامحه مرة أخرى، ثم انتقل بصرهم إلى رفيقهم (رامي شلبي) باستغراب؛ فقد كانت ملامحه قريبة الشبه بـ(شاكر باشا).

ثم تحركوا ليشاهدوا اللوحة الثانية، ولم تكُن تختلف عن الأولى، فقد كانت مُذهّبة الإطار، عتيقة الطراز أيضًا، لا تقل روعة في الرسم عن سابقتها، وكانت عبارة عن لوحة لرجل في منتصف الثلاثينيات، له بشرة بيضاء مشبوبه بحمرة، وكأن له أصولًا تركية، وشعر بني، وعينان خضراوان، وله ابتسامة ساحرة، ويرتدي بدلة سوداء عليها بعض النياشين، ومكتوب أسفل اللوحة (مصطفى السلحدار باشا)، وقد كانت ملامحه تشبه ملامح رفيقهم (حامد السلحدار) الذي كان يحدّق في اللوحة غير مصدق الملامح التي تكاد تطابق ملامح شخصًا يعرفه جيدًا.

وانتقلوا إلى الجدار المقابل على الجهة اليسرى، حيث توجد عليه لوحتان أيضًا، يفصل بينهما نصف متر، وكانتا بذات الطراز، الإطار الذهبي العتيق الذي يحوي بداخله لوحة مرسومة بدقة

فائقة وبموهبة فريدة، لرجل له بشرة خمرية، مملوء الوجه، عريض المنكبين، كث الشارب، ضخم الجثة، وله ملامح تتعجب من وصفها، هل هي ملامح طيبة أم خبيثة، في منتصف الأربعينيات تقريبًا، وعلى رأسه طربوش أحمر اللون، ومكتوب أسفل لوحته (فريد الفادي باشا) وقد كست ملامح وجوه الواقفين أمام اللوحة الاستغراب، فقد كان هذا الباشا يشبه رفيقهم (نادر جابر).

وتحركوا النصف متر الذي يفصلهم عن اللوحة المجاورة، فكانت محفوظة في إطار خشبي مُذهّب، مرسومة بألوان الزيت الفريدة التي تضفي على اللوحة جمالًا باهرًا، حيث تجعلك تنظر إلى الوجه وتستغرب أن هذه مجرد لوحة، فقد كانت تفاصيل الرسمة تكاد تنطق وتخبرك أنها نسخة طبق الأصل من الشخص المرسوم، فقد كانت لرجل في أواخر الثلاثينيات تقريبًا، يرتدي بدلة سوداء، يخرج من جيبها سلسلة ذهبية مثل التي تكون في الساعات القديمة الدائرية التي كانت توضع في الجيوب، ممتلئ الوجنتين، له بشرة بيضاء، وشارب صغير، وعلى وجهه شبه ابتسامة خفيفة، يبدو من اللوحة أنه سمين بعض الشيء، ومكتوب أسفل اللوحة (وحيد السعدي باشا)، كان الجميع ينظرون للوحة منبهرين بجمال رسمها، ولكن كان رفيقهم (هاني السعدي) ينظر لها بتمعُّن واستغراب، وقال لهم:

لو تخيلتم أن هذا الشخص ليس له شارب سوف تجدون أنني نسخة طبق الأصل منه.

أعادوا النظر إلى اللوحة، وانتقل بصرهم بين اللوحة ورفيقهم، فقد كان معه حق فيما يقول، وازداد شعور الرعب بداخلهم أكثر.

ثم أكملوا طريقهم نحو إحدى الغرف الموجودة في الطابق الأول، ليشاهدوا باقي اللوحات التي لم يدققوا النظر فيها حين دخلوا القصر أول مرة، علّهم يستكشفوا بقية ساكني القصر السابقين، وكانت الغرفة يوجد بها مكتبة ضخمة مليئة بالكتب على الجدار الأيمن للغرفة، ومكتب عتيق الطراز، وعدد من التحف والتماثيل، وعلى الجدار الذي يوجد خلف المكتب كانت هناك لوحة موضوعة فوقه ذات إطار ذهبي، ولكنها أكبر حجمًا من اللوحات التي في البهو، ومُزينة بورود منقوشة بدقة، وتوجد في منتصفها العلوي والسفلي وردة أكبر حجمًا من باقي الورود، وبداخل الإطار توجد لوحة لرجل في أواخر الثلاثينيات من عمره، له بشرة بيضاء، وعينان سوداوان، ونظرة حادة قاسية، وتوحي ملامح الوجه بأن صاحبها لم يكُن شخصًا سهلًا، أو بأنه لا يمتلك قلبًا طيبًا، يرتدي بدلة سوداء، ويمسك في يده سيجارًا بني اللون، وكتب أسفل اللوحة (سعيد السهيلي)، وكانت ملامحه تشبه أحد الكُتّاب العمانية، وهو (سامي السهيلي).

وكان على الجدار المجاور للمكتب، وتحديدًا على الجانب الأيسر، لوحة لها إطار خشبي مُذهّب يشبه الإطار السابق، ولكنه يختلف عنه بأن اللوحة المرسومة بداخله بها ملامح لامرأة رقيقة الملامح، وكأنها تشبه النسمة الربيعية، ذات بشرة شديدة البياض، وعينَين خضراوَين صافيتَين، ولها شعر أشقر اللون، ترتدي فستانًا ورديًا، وتبتسم ابتسامة رقيقة أخّاذة، في الثلاثينيات من عمرها، ومكتوب أسفل اللوحة (نجلاء هانم الربيعي)، واستغرب الجميع لأنها كانت تشبه زميلتهم (نجلاء فوزي).

ثم خرجوا من الغرفة وتوجّهوا للغرفة الأخرى الموجودة في

الطابق الأول في الجهة المقابلة، وكانت تشبه نظام الغرفة الأولى، مكتبة ضخمة على اليمين، ومكتب وبعض التحف والتماثيل المتناثرة هنا وهناك بنظام هندسي فريد، وعلى جدار الغرفة خلف المكتب توجد لوحة لها إطار ذهبي مُزيّن على شكل خيوط ذهبيه ملفوفة، وبداخله لوحة مرسومة بدقّة وفن فريد، فقد رُسمت تفاصيل الوجه بدقّة، توحي بأن من قام برسمها من أمهر فناني عصره، فالوجه الدائري لصاحب اللوحة يكاد ينطق من دقة تفاصيله، فبشرته قمحية اللون، والعينان واسعتان سوداوان، والوجنتان ممتلئتان قليلًا، وله شعر طويل ناعم مُصفّف بعناية، ليس له لحية وشارب مثل سابقيه، ولم يكُن ذلك هو الاختلاف الوحيد، فقد كان الشخص المرسوم يختلف عن سابقيه في وضعية التجسيد، فقد كان جالسًا على كرسي ضخم الحجم، ويتخذ وضعية جانبية في الجلوس، له نظرة تجعلك تتأكّد بأنه مُعتدٍ بنفسه، توحي بأن له شخصية متعالية، ويرتدي بدله رمادية اللون، فربما أراد أن يكون مختلفًا عن سابقيه؛ فغيّر كل تفاصيل لوحته، فأصبحت مغايرة تمامًا لكل اللوحات، وكتب أسفل لوحته (جودت الجوادي)، لم تكُن تفاصيل اللوحة المختلفة هي سبب تحديق الكُتّاب في اللوحة، بل أوجه التشابه التي تكاد تكون تطابق ملامح رفيقهم (وليد مجدي)، وقد كان هذا التطابق سببًا جعل (رامي) يوجّه سؤالًا إلى (وليد) فقال له:

اسمح لي يا (وليد) أن أسألك، ما اسم عائلتك؟

فأجابه بنبرة صوت حزينة: (الجوادي)، اسمي الرباعي هو (وليد مجدي جودت الجوادي).

فضدم الجميع لجوابه، فقد تأكدوا الآن بشكل يقطع كل حبال الشك بأن وجودهم الليلة كان مقصودًا، وله علاقة بالماضي.

ثم قرروا أن يكتشفوا باقي أرجاء الغرفة، فانتقلوا إلى جدار الغرفة المجاور للمكتب والمقابل للمكتبة، وُضع بجوار الجدار مقاعد مُذهّبة ذات طراز كلاسيكي حديث يعود لفترة الخمسينيات تقريبًا، ويتوسط الجدار إطار خشبي مُذهّب للوحة، ومُزين بنقش لورود صغيرة توحي بالرقة، فقد كانت اللوحة لأنثى جميلة الملامح ورقيقة التفاصيل، كانت ترتدي فستانًا أسود اللون يكشف جمال العُنق الموضوع عليه عقد رقيق من اللؤلؤ، جالسة على كرسي، وواضعة كفها الأيمن على الأيسر، وتشعر وكأن عينَيها تنظران بشغف إليك، أو تحديدًا للرسام، ولها وجه نحيف وعينان بُنيتان صافيتان، ولها شعر بني اللون، مصفوف برقّة، تجعلك تُطيل النظر إليها، وكُتب أسفل اللوحة (نبيلة البنهاوي)، وقد كانت تفاصيلها الجميلة تجعل الجميع ينظرون إليها، فنطق (حامد) قاطعًا صمت التأمُل، وهو ينقل بصره بين اللوحة وبين صديقته (نبيلة المتولي) قائلًا:

ما اسمك بالكامل يا (نبيلة)؟

فأجابته: (نبيلة محمد صالح المتولي).

فقال بارتياح: الحمد لله، أخيرًا وجدنا أحدنا ليس له علاقة بأحد ساكني القصر، حتى ولو كانت الملامح متشابهة، فكما يقول المثل الشعبي: يخلق من الشبه أربعين.

فقالت (نبيلة) بصوت يكاد يكون متقطّعًا: ولكن لقب عائلة أمي هو

(البنهاوي).

فقال (حامد) بفزع: هل تقصدين أن تلك المرأة في اللوحة من عائلتك؟

فقالت (نبيلة): أجل، فإن اسم جدتي (نبيلة رفعت البنهاوي)، وقد أخبرتني أمي ذات مرة في صغري أن جدي لأمي كان يمتلك قصرًا وثوفي في حادث، وعاشت فيه مع جدتي بضع سنوات حتى ثوفيت جدتي بعده بسنوات قليلة، ثم انتقلت للعيش مع خالي، ولم تحكِ لي شيئًا يتعلق بالقصر مرة أخرى.

فقال (رامي): إذن أظن الآن بعد أن شاهدنا الثماني لوحات الموجودة في البهو والغرف، تأكّدنا من أن وجودنا الليلة له غرض يتعلق بأجدادنا الذين سكنوا هذا القصر، وعلينا الآن، أن نهدأ ونتمالك أعصابنا قليلًا، ونحاول البحث عن أية أوراق تتعلق بملكية القصر، أو يوميات أحد مُلّاك القصر، فربما وجدنا شيئًا يفسر علاقتهم ببعضهم، أو كيف انتقل القصر لهم لكي يعيشوا فيه على فترات مختلفة، خاصةً وأن بين ألقاب عائلاتهم، والتي هي عائلاتنا بالطبع لا توجد صلة قرابة على ما يبدو.

فقال (مجدي) موافقًا: معك حق، أعتقد أن هناك علاقة صداقة أو قرابة بعيدة بين مُلّاك القصر السابقين، ولو بحثنا في أدراج المكاتب الموجودة في الغرف، ربما نعثر على شيء يفسر لنا.

قام الرفقاء الثمانية بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات حتى يغتنموا الوقت، فهم في صراع مع الزمن، يريدون أن يفهموا أكثر سبب اجتماعهم، أو طريقة للفهم والخلاص من هذا السجن الذي حُبسوا

فيه، فبعضهم يبحث في الغرفة الأولى التي على يمين بهو القصر، وبعضهم يبحث في الغرفة الثانية التي على يسار البهو، فبحثوا في المكتبتين وأدراج المكاتب بعناية، وبحثوا في الكتب عن دفتر ربما كُتب فيه بعض اليوميات التي قد تفسر لهم ما يجهلونه.

ومرّت الدقائق عصيبة بطيئة، ولم يشعروا بأنه قد مر عليهم ساعة كاملة وهم يبحثون دون طائل، فلم يعثروا على أي دفتر أو أي أوراق مكتوب فيها شيء يخص القصر أو ساكنيه، فشعروا بالإحباط، وخرجوا من الغرفتين، وجلسوا في بهو القصر وعلى ملامحهم علامات الخيبة واليأس.

وبينما هم كذلك كان (رامي) يضع يده على رأسه وهو مطأطئ الرأس، ناظرًا إلى الأرض، يبدو عليه الإحباط والتفكير العميق، وما هي إلا لحظات حتى صاح فجأة قاطعًا الصمت الذي خيّم على المكان قائلًا:

وجدتها، إن المكاتب القديمة كان يُصنع فيها درج سري يحفظ فيه صاحبه أهم الأشياء التي لديه فيه، وأعتقد أن يوميات شخصيات كان لها خطايا أو أحداث غريبة، لن يتركوها في وسط الكتب أو على المكتب لتصل إلى يد أي شخص يدخل المكتب، علينا التدقيق في المكتب الموجود بالغرفة التي على اليمين والموجود بالغرفة الأخرى، ولنقوم بفحصهما جيدًا، خاصةً من الأسفل، فقد نجد زنبركًا مخفيًا في أحد الجوانب.

توجّهوا مسرعين إلى الغرفتين، وقاموا بفحص كل جزء فيهما وقتًا طويلًا، خرجت المجموعة الأولى من الغرفة اليمنى وعلى وجههم

الإحباط؛ لأنهم لم يعثروا على الدرج المخفي في المكتب، وتوجهوا للغرفة الثانية، وأخبروا من بها أنهم لم يعثروا على شيء، وتسرَّب الحزن واليأس إلى من بالغرفة أيضًا، ولكن (رامي) كان يبحث باستماتة وبدقَّة، وبينما هو يبحث ويتفحص كل جزء في المكتب بيده داخل أحد الأدراج السفلية فيه، سمع صوتًا لتحرُّك قطعة حديدية من مكانها، فقرّب الشمعدان الذي بيده أكثر، فعثر على درج مخفي بداخل الدرج الأصلي، فصاح:

وجدته وجدته، فقام بإدخال يده فيه، فعثر على دفتر جلدي أسود اللون مُتربًا؛ يبدو وكأنه لم يمسّه أحد منذ سنين طويلة، فأخرجه ووضعه على المكتب، ثم قلّب بعض ورقاته بلهفة، ثم قال لهم: وجدنا ما كنا نبحث عنه أخيرًا، إن هذا الدفتر عبارة عن يوميات من سكنوا القصر، كتب كلٌ منهم بعض الصفحات فيه، وكتب قبلها اسمه لكي يفرّق بين يومياته ويوميات من قبله.

فقالت (نجلاء): الحمد لله أننا عثرنا عليه، والآن، فليقرأ أحدٌ علينا ما ذُكر في هذه اليوميات لكي نعرف ما نجهله من أمر القصر، أو على الأقل نعرف كيف انتقلت ملكية القصر من المالك الأول إلى الملاك الآخرين.

فقال (رامي): دعونا نخرج إلى بهو القصر ونجلس ونستريح قليلًا، ثم سأقرأ لكم ما كُتب في هذا الدفتر.

استحسن الرفاق ما قاله (رامي)، وخرجوا من الغرفة وجلسوا في بهو القصر، وقد تنفَّسوا الصعداء بعد العثور على الدفتر المخفي الذي قد يحتوي على ما يجهلونه، ويوضح لهم الأمور ولو قليلًا، خاصةً

وقد اختفت الأصوات منذ أكثر من ساعة ونصف على الأقل، ولحسن الحظ كانت هناك بعض قوارير المياه المتبقية من الحفل، فأخذ كلٌ منهم قارورة وشرب منها وارتوى، وهدأت أعصابهم، وأصبحوا مستعدين لسماع اليوميات.

-٦-

جلس الكتّاب العثمانية في بهو القصر لكي يستمعوا لفحوى اليوميات التي عثروا عليها في الدرج المخفي، وقد تولّى (رامي) مهمة القراءة، الصفحات الأولى لم تكُن بها أشياء ذات أهمية، مجرد مواعيد عمل أو تواريخ مناسبات كان يدونها ساكن القصر الأول (شاكر شلبي باشا)، فعلى ما يبدو أنه كان يسجل فيها المواعيد المهمة لديه، ولكن هذا قد اختلف على ما يبدو بعد مدة، فقد ذكر بعد عدد من الصفحات الأولى بعض الملاحظات المهمة، وقد عنونها بعنوان (يوميات غريبة)، وأسفل هذا العنوان ذكر التالي:

بعد أيام قليلة من الحادث بدأت أسمع بعض الأصوات حين أكون وحدي، سواء كنت في المكتب، أو في غرفة النوم قبل أن أنام، أو في مكان أنتظر فيه أحد الأصدقاء، وقد تكرر هذا الأمر كثيرًا في الأيام الأخيرة.

كانت تلك هي السطور الوحيدة المكتوبة مباشرةً أسفل العنوان، وبعدها سطور أخرى مكتوب فيها:

لم أعُد أطيق سماع هذه الأصوات، فقد زادت بشكل لا يُحتمل، وتجعلني أكاد أفقد أعصابي، وتسببت لي بأن أصبحت أكثر عصبية، وكل من حولي قد لاحظ هذا التغيُّر المفاجئ عليّ، ليتني أستطيع إيقاف تلك الأصوات.

وكُتبت بعد ذلك سطور أخرى في صفحة أخرى، يبدو أنها كُتبت في يوم آخر، كان فيها:

لقد أصبحت تلك الأصوات تقول جملًا أكثر وضوحًا من ذي قبل، وقد ميّزتُ نبرات الأصوات، وقد عرفت لمن تكون، ولكن هذا مستحيل، فأصحابها قد ماتوا فكيف أسمع أصواتهم.

وفي سطور أخرى كتب فيها:

يبدو أنهم يريدون الانتقام مني، ولن يتوقفوا حتى يأخذوا حقهم مني، فلم يكتفوا بالأصوات كما كان يحدث في السابق، فقد أصبحت أرى طيفهم في القصر، خاصةً وهم يتوعدونني بسوء المصير أنا ونسلي، إذا لم أُصلح ما جنته يدي.

وفي سطور أخرى كُتب:

يبدو أن أوان الصفح قد فات، وقد اقتربت نهايتي، وكيلا أجعل أولادي يلاقون نفس ما أعاني الآن، أوصيت بأن يؤول هذا القصر إلى صديقي (مصطفى السلحدار)، وقد كتبتُ هذا في وصيتي وسلمتها إلى المحامي، وأرجو أن تكون له فيه أيام أفضل من أيامي.

كانت هذه آخر السطور المكتوبة بخط يد (شاكر شلبي باشا)، جدي الذي لم أكُن أعرف عنه الكثير، قال رامي.

ثم خاطبه (حامد): لقد علمنا بعض الأمور التي واجهها، وقد علمنا الآن أنه قد واجه أشياء غير طبيعية كانت تحدث له قريبة مما حدث معنا، كما أنه قد أخبرنا عن مالك القصر الثاني وكيف آل القصر إليه.

فأجابه (نادر): معك حق، ولكن هل يوجد في اليوميات شيء كتبه (مصطفى السلحدار)؟

فأجابه (رامي): أجل بعد صفحات (شاكر باشا)، توجد صفحة

بيضاء، وبعدها صفحة كُتب عليها (يوميات مصطفى السلحدار)، وكانت لا تختلف كثيرًا عن يوميات صديقه، مواعيد وأشياء يقرر فعلها، أو تواريخ مميزة حدثت فيها بعض الأشياء الخاصة بعائلته كنجاح الأبناء أو أعياد ميلادهم وغيرها، ولكن بعد ذلك توجد صفحات كان عنوان أول صفحاتها: (أحداث غريبة تحدث لي).

فقاطعه (حامد) قائلًا: اقرأ لنا ما ذُكر فيها!

فقال (رامي): كُتب في السطور الأولى منها:

لقد كنت أشكُ فيما يقصُه لي صديقي (شاكر شلبي باشا) قبل موته بأسابيع، وكنت أطمئنه بأن ما يسمعه أو يحدث له سببه الضغوط الكثيرة جراء العمل، وكنت أنصحه بألّا يفكر فيما يحدث له، ويقوم بتغيير جو في إحدى المدن الساحلية؛ فقد يكون هذا مفيدًا له، وكان يسمع حديثي ويخبرني أنه سوف يفعل بنصيحتي حين ينتهي من أمور مهمة لديه، ولكني بعد أن سكنت قصره الذي أوصى به لي قبل موته، ولم أكُن أعلم شيئًا عن هذه الوصية، عرفتُ أنه كان يواجه شيئًا حقيقيًا، وليست مجرد ضغوط نفسيه أو عصبية بسبب العمل.

وانتهت بذلك السطور الأولى، ثم كتب سطورًا أخرى كان بها:

مرّ على امتلاكي هذا القصر، أكثر من ستة أشهر، وقد أصبحتُ أكثر عدائية تجاه أقرب الناس لي أو الأغراب، أشعر أنني كشخص، أصبحت أسوأ من ذي قبل، لا أعلم السبب هل هو ما أقوم به من أفعال، أم أن هناك شيئًا غير طبيعي هو المتسبب في هذا.

وكُتبت سطور أخرى في الصفحة التالية كان بها:

الآن يحدث لي مثلما كان يحدث مع صديقي (شاكر)، أسمع الآن أصواتًا تتكرر على مسامعي صباح مساء، خاصةً وأنا وحدي، أو حين أقابل بعض النساء التي تربطني بهنّ صداقة، بدأتُ الآن أفهم المعاناة التي كان يمر بها صديقي.

وكتب في سطور أخرى:

لقد فاق الأمر الآن قدرتي على الاحتمال، لقد زادت جمل الأصوات وزادت حدتها، وأصبحت تحمل كلمات الوعيد والتهديد، أعلم وأقر بأنني قد فعلت لأصحاب تلك الأصوات ما أصابهم بالأذى، ولكني أجهل كيف أكفّر عن ذنبي، حتى يتركوني في حال سبيلي.

وكتب في سطور أخرى:

لقد عرفت بشكل أكثر وضوحًا من أطيافهم سبب ظهورهم وتهديدهم لي ولكل من أحبهم، وأشك في أن هناك طريقة للصفح، وأتصور بأن أيامي صارت معدودة، وحتى لا ينتقموا من زوجتي وأبنائي سوف أوصي بأن ينتقل هذا القصر إلى صديقي تاجر الغلال والبقول (فريد الفادي باشا)، فإن بيننا تجارة، ويتبقى له عندي مبلغ من المال، وسوف أعطيه هذا القصر مقابل هذا المبلغ، فربما يكون التخلُّص من القصر وسيلة أبعد بها أسرتي عن المصير الذي قد أواجهه الأيام القادمة.

انتهت بهذه السطور يوميات (مصطفى السلحدار)، ويبدو أنه مثل صديقه السابق، كان يواجه أمورًا غريبة سببها ما جنته يده.

فقال (نادر): أجل، وقد علمنا أيضًا سبب انتقال القصر للمالك

الثالث (فريد الفادي) جدي.

فقال (هاني) ساخرًا: يبدو أن الطيور على أشكالها تقع فعلًا.

فقال (نادر) في شيء من السخرية أيضًا: اظهر احترامك لأجدادنا يا رجل، أظن أن جدي (فريد) كتب أيضًا في اليوميات، أليس كذلك يا (رامي)؟

فأجابه (رامي): نعم، فبعد أن انتهت صفحات (مصطفى السلحدار)، كانت هناك بعض الصفحات الفارغة ثم صفحة كُتب عليها، (يومياتي أنا فريد الفادي باشا).

فقال (حامد): اقرأ علينا ما ذُكر فيها!

فبدأ (رامي) القراءة وكانت الصفحات الأولى منها عبارة عن مواعيد عمليات نقل البضاعة الخاصة بتجارته في الغلال والبقول، فقد كان رجل تجارة كبير، وكذلك بعض الأموال التي له عند بعض التجار والأصدقاء، وكانت الصفحات خالية من أي شيء غريب، ولكن بعد خمس صفحات كُتب عنوان (بدأت تحدث لي مثلهم)، وأسفل هذا العنوان ذكر الآتي:

حين حصلت على هذا القصر بعد وفاة صديقي (مصطفى السلحدار) وجدت دفتر اليوميات هذا، لم أهتم به كثيرًا في البداية، حتى شعرتُ بفضول يدفعني دفعًا لقراءته، خاصةً بعد مرور عام عليّ في هذا القصر، وبشكل خاص حين بدأت أسمع بعض الأصوات الهامسة على فترات، فقرأت ما حدث لساكني القصر السابقين، فبدأتُ أشك بأن ما يحدث لي له علاقة بما حدث لهما.

وانتهت السطور، وفي سطور أخرى مكتوب عليها (يوم الأربعاء يوم معرفة الحقيقة) ذكر فيها:

لقد زادت الأصوات وأصبحت جملًا متفرقة، أصواتًا تبدو مألوفة، ولكني لا أتذكر أصحابها، يبدو حقًا أن هذا القصر ملعون فعلًا، وسوف يحدث لي مثلما حدث مع من قبلي من ملاك القصر.

وفي سطور أخرى في صفحة تالية كُتب فيها:

اليوم السبت، وبدأت أسمع مع الأصوات أسماء من يتكلمون معي همسًا، أدرك أنني قد ظلمتهم، وأكلت حقوقهم، وسوف أحاول رد أموالهم لورثتهم، المهم أن يدعوني في سلام، فقد هددوني كثيرًا في اليومين الأخيرين.

وفي سطور أخرى كتب:

لم يصدقوا رغبتي في إرجاع حقوقهم للورثة، فظهروا لي بهيئتهم كأطياف وأحاطوا بي، وأقسموا بأن ينتقموا مني ومن أسرتي، فكما تسببت في موتهم بالحسرة وأصبت أبناءهم باليتم، سوف يفعلون ذات الشيء معي، سوف أذهب إلى المحامي الآن، وأخبره بالأموال التي أريد أن تذهب لأسر هؤلاء، وسوف أتخلص من هذا القصر، فقد كان فألًا نحسًا عليّ، وسوف أوصي بالقصر لصديقي (وحيد السعدي باشا) الذي قد ظلمته في صفقة سابقة، ربما يخفّف هذا من شعوره تجاهي بالكراهية، ويجعل أسرتي تنجو من المصير الذي أواجهه الآن.

وانتهت صفحات اليوميات الخاصة بـ(فريد الفادي).

فقال (حامد): إن اليوميات تزيدنا استغرابًا، فكل شخصية تخفي سطورها أحداثًا مجهولة أدّت بها إلى مصير غامض، كما أنها تظهر سبب انتقال القصر لأشخاص غير ورثتهم.

فقال (هاني) بسخرية: معك حق، ويبدو أن اللعنة قد انتقلت إلى جدي المحظوظ، وتسبب هذا في وجودي معكم.

فقال (نادر): اقرأ يا (رامي) ما ذُكر في اليوميات عن (وحيد السعدي)، فأظن أن عادة كتابة اليوميات قد انتقلت إليه بعد أن أصبح القصر ملكه.

فقال (رامي): نعم هذا صحيح، وبعد صفحات فارغة من صفحات (فريد باشا)، توجد صفحات مكتوب عليها (يوميات المالك الرابع وحيد السعدي... أرجو أن تكون يومياتي سعيدة)، وكان أسفل هذا العنوان الطويل بعض التواريخ وبعض النكات وبعض المواعيد الخاصة بمواعيد لقائه ببعض الأصدقاء أو مشتريات يريد شراءها، وقد ملأت كل هذه الأمور خمس صفحات، وفي الصفحة السادسة كُتب في منتصفها (لقد بدأوا باللعب معي).

فقال (هاني) ساخرًا: أعتقد أنه يحكي فيها ما حدث له مثل سابقيه، يبدو أن جدي كان ساخرًا هو أيضًا، وقد انتقلت جينات السخرية منه إليّ.

فأجابه (رامي): نعم، لقد ذكر ما بدأ يحدث له فكتب:

رغم أنني قد تجاهلت كل ما قرأته في دفتر اليوميات هذا مع الملاك السابقين، وبرغم أنني كنت لا أرمي بالًا لما قد تكرر حدوثه

في الأيام السابقة من سماع أصوات هامسة خافتة على فترات، فإنه عندما بدأت الأصوات تتكرر بانتظام بدأت أشعر فعلًا بالخوف، ولكني كنت أتمالك نفسي، محاولًا ألا أظهر بمظهر المرعوب، فربما بهذا التجلُّد أثبت أني لست خائفًا منهم.

وفي سطور أخرى كتب:

فشلت محاولاتي في أن أظهر بأني لستُ خائفًا، فحين كنت أسمع الأصوات المتكررة كنت أتصبب عرقًا من شدة الخوف، وبدأت أخاطب تلك الأصوات وأقول لها إنني لست خائفًا منها، ولكني كنت أسمع وقتها ضحكات سخرية من الأصوات، وكانت تقول سوف نرى.

وفي صفحة أخرى كتب:

لقد فشلت حقًا في أن أتمالك أعصابي، فقد أصابتني الأصوات المتكررة بالخوف والهلع، وقد أصبحت على غير عادتي عصبيًا، وقد تحولت ضحكاتي إلى صراخ في وجه كل من يخاطبني، خاصةً حين بدأت الأصوات تتحدث معي بصوت أكثر وضوحًا، وعلمت أنها أصوات لأشخاص كنت أعرفهم من قبل، ويبدو أنهم لن يتركوني أبدًا أنعم بالسلام.

وفي صفحة أخرى كُتب بخط يدٍ مرتعشة:

لم أعُد قادرًا على تحمُّل ما يحدث لي، عليّ التخلص من هذا القصر، عليّ التخلص من تلك الأصوات، إنهم يريدون الانتقام مني، أو دفعي إلى الانتحار، ليتني أستطيع أن أفعل ما يطلبونه مني، ولكن كيف لي أن أرجعهم إلى الحياة مرة أخرى، أو أدعهم يرقدون في

سلام، إن ما يطلبونه يفوق قدراتي البشرية، إن أول شيء سوف أفعله هو التخلص من هذا القصر اللعين، حتى لا ينتقموا من أسرتي من بعدي لو نفّذوا تهديدهم بقتلي، سوف أهب هذا القصر إلى ابن خال أمي (سعيد السهيلي)، لطالما كان أبوه يتحدث مع أمي بأن له أموالًا لدى أبيها المُتوفّى، زورًا وبهتانًا، وأظن أن هذا القصر سيكون جزاءً جيدًا له، هاهاها... قد تسخرون مني وأنا أمتلك روح السخرية وأنا في قمة الرعب، ولكن يجب عليّ التخلص من القصر، وسوف أحاول إرجاع الحقوق لذوي الأرواح التي تهاجمني.

وانتهت صفحات اليوميات الخاصة بوحيد السعدي، ثم قال (هاني):

لقد تخلّص من القصر بشكل غريب، ولكننا على الأقل عرفنا الآن كيف انتقل إلى المالك الخامس (سعيد السهيلي).

فقال (سامي) بصوت فيه غضب: أجل انتقل إلى جدي، وانتقلت إليه اللعنة التي امتدت إليّ الآن.

فقال (حامد): دعونا الآن نكمل باقي اليوميات، فما قاله الملاك الأربعة يوضح على الأقل كيفية انتقال القصر من شخص إلى آخر، كما يظهر أن كلًا منهم كانت أفعاله سببًا لما يحدث له، هيا أكمل يا (رامي) القراءة!

فقلّب (رامي) الصفحات الفاصلة بين صفحات (وحيد السعدي)، وبين صفحات (سعيد السهيلي)، ووجد صفحة كُتب في منتصفها (يومياتي.. سعيد السهيلي)، وكانت الصفحات التالية مليئة بالمواعيد مع رجال ونساء، أكثر من نصفهم أسماءً لمشاهير، وكان

يَذكر أنه التقى بهم لتسهيل عمليات خاصة بشركته، أو لكي يقوموا بتعريفه على بعض رجال المال والسلطة لتسهيل عمله، وكان باذخًا في تلك المواعيد والأمسيات، فكما يقول المثل الشعبي: (أطعِم الفم تستحي العين)، ثم بعد ذلك بنحو ثماني صفحات مذكور فيها مواعيد مع هؤلاء، ومواعيد الصفقات وتفاصيلها وأربحاها، وتلي هذه الصفحات صفحة منفصلة كُتب فيها هذا العنوان: (الآن بدأت أواجه مصيري أنا أيضًا).

فقال (سامي): ها قد بدأت الصفحات المهمة.

فأكمل (رامي) القراءة، وذُكِر في الصفحة الآتي:

في طريق رجوعي للقصر من موعد العشاء مع الفنانة (م.ف)، بدأتُ أسمع صوتًا كالهمس في أذني، لم أفهم جيدًا ما كان يقوله، ولكن الصوت تكرر من وقتها وإلى آخر الليل، وكنت أقوم بتشغيل الموسيقى على الجرامافون الموجود بالمكتب لكي يشوِّش صوته على صوت الهمس، ويجعلني لا أركز معه، لكن أبدًا، لقد استمر الصوت، فحاولت أن أقرأ في كتاب، ولكن لم يتغير شيء، وبعد صراع مع الزمن والصوت، غلبني النعاس.

وفي نفس الصفحة كتب أيضًا:

لقد ارتفع الصوت الذي أسمعه وأصبح أكثر وضوحًا، والغريب أن لا أحد غيري يسمعه، وكان يقول لي: أنت مخادع، تتسلّق على تعب الآخرين لتصل لما تريد، لم أفهم لماذا يقول لي صوت خفي مثل هذه الجملة، واستمر يكررها طوال الليل، يبدو أنها ليلة أخرى بدون نوم مريح.

وفي صفحة أخرى كتب:

يبدو أنه قد كُتب عليّ ألا أرى النوم الهانئ بعيني مرة أخرى، فالصوت قد تحوّل إلى أصوات، أصوات تكاد تكون مألوفة بالنسبة لي، وكل صوت منهم يقول شيئًا مختلفًا لي، مثل: هضمت حقي من أجل نفسك، أنت مخادع تبني مجدًا لنفسك على حساب غيرك، أنت نذل، مريض، تمتص دم الناس وتعبهم، ولا تعطيهم حتى أقل ما يستحقون، إلى غيرها من الجمل التي تحتوي على السباب والاتهام.

وفي سطور أخرى كتب:

كنت أحاول ألا أصدق ما كنت قد سمعته عن هذا القصر، أو ما قرأته في يوميات ساكني القصر السابقين، ولكن تكرار سماع الأصوات وكلماتها التي أصبحت أكثر عنفًا والتهديدات التي كنت أسمعها منهم، بل وظهور أطيافهم، كل هذا جعلني أصدق وأجزم بأنني قد اقتربت من مصيرهم، خاصةً وأنهم يطلبون مني أن أرد لهم حقوقهم الأدبية والمالية التي سلبتها منهم، ولكن كيف لي أن أقوم بهذا، هل سأدمر كل ما بنيته في سنوات طويلة، إنني في صراع مع أفكاري، ومع تلك الأطياف وأصواتها.

وكتب في صفحة أخرى:

لقد كتبت أسماء من هضمت حقوقهم وسلمت الأسماء إلى المحامي، وطلبت منه أن يقوم بتوزيع مبلغ من المال على أسرهم، فربما المال يجعل الأطياف الغاضبة تكُف عن تهديدها بالانتقام مني، ولكني لن أعترف بما يريدون مني الاعتراف به، لن أهدم شخصيتي

مهما كلفني الأمر، وسوف أتخلص من القصر بإهدائه لسيدة الأعمال (نجلاء الربيعي) فقد ساعدتني كثيرًا في التعرُّف على ذوي النفوذ، وأرى أنه من الطبيعي أن أرد لها الجميل...

صمت (رامي) بعد الجملة الأخيرة، فعرف الجميع أن صفحات (سعيد) السهيلي قد انتهت.

فقالت (نجلاء) بصوت مرتجف: معنى كلامه الأخير أن القصر انتقل إلى جدتي؛ لأنه كان لها دور فيما وصل إليه!

فقال (حامد): جدتك! لقد لاحظت الشبه بينكما، لكن اختلاف الاسم جعلني أظن أنه مجرد شبه عادي.

فأجابته بحزن: إنها والدة أبي؛ ولهذا الاسم مختلف، لكني ورثت ملامحها، و... وبعض صفاتها على ما يبدو.

فقال (سامي): لا عليكِ، يبدو أننا جميعًا نكتشف الليلة أشياءً مجهولة بالنسبة لنا.

وقال (وليد): أكمل قراءتك يا (رامي)، هل كتبت (نجلاء الربيعي) يوميات لها في الدفتر؟

فأجابه (رامي): أجل، حين كنتم تتحدثون قُمت بتقليب الصفحات الفاصلة بين صفحات (سعيد السهيلي) و(نجلاء الربيعي)، والشيء المميز المختلف عن سابقيها هو تزيينها لعنوان يومياتها بالورود، وقد عنونتها بعنوان مختلف أيضًا وهو (يوميات حياتي).

فابتسم (هاني) قائلًا: إنه عنوان مميز، يصلح أن يكون عنوان فيلم، يبدو أنها كانت متفائلة!

فقال (حامد): لا تقاطع (رامي) يا (هاني)، نريد أن ننتهي من هذا الدفتر، أكمل يا (رامي)!

فأكمل (رامي) قائلًا: في الصفحة التالية لهذا العنوان، كتبت (نجلاء) عناوين مع رجال أعمال، فقد كتبت الموعد والمكان وصفة كلٍّ منهم، وكان وصف كلٍّ منهم يختلف عن الآخر، فكتبت مثلًا، الغني، الغني جدًا، الأكثر مالًا من أي أحد قابلته، والغني الوسيم، والأكثر وسامة، ثم مواعيد مع الكوافير، واستلام الفساتين الجديدة، ومثل هذه الأمور كانت تملأ أكثر من صفحة، وبعد الصفحة العاشرة كتبت عنوانًا دون تزيين له هذه المرة (لقد بدأ العبث)، وفي الصفحة التالية ذكرت الآتي:

لقد سمعت بعض الحكايات من بعض معارفي عن من سكنوا هذا القصر من قبلي، ولكني كنت أكذّب ما كنت أسمعه، وكنت أعتبر أنهم يحكون هذه القصص بسبب غيظهم من امتلاكي له، نعم كنت أسكن في فيلا جميلة قبله، لكن القصر أكثر جمالًا، كما أنه يمثل بريستيجًا لي، فمن تسكن في قصر تُعامَل كأميرة في الأوساط الراقية، ولكن عندما بدأت أسمع أصواتًا غريبة في القصر، بدأت أشك في صدق ما سمعته، وقلت لنفسي لن ألقي بالًا لهذه الأصوات، حتى عثرت على هذا الدفتر، وبدأت أقرأ ما فيه، قرأت أول يوميات كُتبت فيه، ثم أغلقته وخرجت من المكتب، ووعدت نفسي ألا أقترب منها مرة أخرى.

وفي سطور أخرى كتبت:

بعد أن وعدت نفسي ألّا أقترب من الدفتر مرة أخرى، بدأت

الأصوات الغريبة تزداد يومًا بعد يوم، فقررت أن أكمل قراءة في الدفتر، وكنت أنهي ما كتبه شخص، ثم أقرأ ما كتبه غيره، حتى وصلت إلى آخر شخص وهو (سعيد السهيلي) الذي قد وهبني هذا القصر، قال لي حينها أنه أراد أن يرد لي بعضًا من أفضالي عليه، فقد عرّفته على رجال أعمال ومشاهير كثر، ولكن ما ذكره هو ومن سبقوه عن القصر، ألقى في نفسي الرعب أكثر.

وفي صفحة أخرى كتبت:

لم أعُد أطيق هذه الأصوات المتكررة التي تحدث لي، لا أدرى هل هذه مجرد وساوس من عقلي الباطن أم أنها حقيقية، كم أتمنى أن تتوقف هذه الأصوات، فقد أصبح الأمر لا يُحتمل.

ثم كتبت أيضًا:

لقد أصبحت الأصوات أكثر وضوحًا، نعم إنها أصوات مألوفة لديّ، ولكني لا أتذكر أصحابها، وأصبحت أسمع ما يقولون بشكل مفهوم، فجملهم تقذف الرعب في قلبي، مثل: أنتِ إنسانة عديمة الضمير، أنتِ ظالمة ولن تري الخير أبدًا، أنتِ أسوأ من أحببت يومًا، أنتِ مثال للقسوة ولن تنعمي بالحب والراحة طوال حياتك.

أريد أن أتخلص من كل هذه الأصوات، فلم أعُد أتمكن من النوم إلا ساعات قليلة، وأصحو فزِعة من النوم.

وفي صفحة أخرى كتبت:

لم أعُد أحتمل ما يحدث لي، لقد أصبحوا يظهرون لي، ويهددونني، لم أذُق طعم النوم من الخوف، وقد أرسلت ولدي الوحيد إلى أمي

لكي ترعاه؛ فقد أصبحت أكثر عصبية، ولم أعُد أقدر على رعايته، وأخاف أن أتسبب له في مكروه.

وفي سطور أخيرة كتبت:

بعد أن قررت مواجهتهم علمت لماذا يفعلون معي هذا، إنني مذنبة في حقهم فعلًا، إنني مجرمة، قاسية القلب، وقد اعترفت لهم بما فعلته في حقهم وطلبت منهم الصفح، ولكنهم طلبوا مني أن أذهب إلى ذويهم وأطلب منهم الصفح أيضًا، حينها سوف يتركونني في حال سبيلي، فهل سوف يمهلني القدر الوقت للبحث عنهم والوصول إليهم، أم أنني سوف أموت، دون أن أحقِّق هذا، فقد أخبرني الطبيب في زيارتي الأخيرة له أنني أحتاج إلى الراحة، فقد فقدت الكثير من وزني وأصبحت أكثر شحوبًا من قلة النوم والتغذية، إن هذا القصر كان شؤمًا عليّ، ولن أدع ابني يواجه مثل مصيري ومصير من قبلي، سوف أطلب من المحامي عقد مزاد على هذا القصر، حتى لا أتسبب لغيري بمواجهة مصير مثل مصيري، ومن يرضَ أن يشتري هذا القصر، سيكون هو جزاءه.

انتهت سطور يوميات (نجلاء هانم الربيعي)، وخيّم الصمت والوجوم على الرفقاء العمانية، ثم قطع (وليد) الصمت قائلًا:

يبدو أن جدي (جودت الجوادي) كان سعيد الحظ الذي آل إليه القصر بعد أن أُقيم المزاد عليه، ولكن الغريب في الأمر، لماذا يشتري أحد قصرًا تدور حوله القصص الغريبة، وكل من سكنه تُوفي!

فقال (نادر): أظن أن هناك سببًا وراء شرائه هذا القصر، وربما نجده في يومياته.

فقال (رامي): أجل، وسوف أقرأ لكم ما كتبه، بعد آخر صفحة كتبتها (نجلاء الربيعي)، يوجد بعض الصفحات البيضاء، ثم توجد صفحة كُتب عليها (يومياتي في قصرها.. أنا جودت الجوادي).

فقال (حامد): قصرها! يبدو أن وراء هذ العنوان سببًا، وكما توقع (نادر) أن هناك سببًا وراء شرائه القصر.

فأكمل (رامي): في الصفحات الأولى كتب أنه كان يشعر بأنه سعيد لأنه قد امتلك القصر الذي لطالما كانت تتباهى به (نجلاء الربيعي)، وفي يوم المزاد قد خاطبها قائلًا:

لقد اشتريت هذا القصر ليذكّرني بكِ، أردتِ أن تبعديني عنكِ بعد أن رفضتِ حبي لكِ، ولكني كنت أفضل منكِ، فلم أشأ أن يؤول شيء ملكك لغريب، فأنا أولى.

وفي صفحة أخرى كتب: لقد كنت أحاول نسيان موتها بأن أتعرّف على نساء كثيرات، برغم أنني كنت أعلم أنها لم تكُن تحبني، لكني كنت أرفض فكرة رفضها قبولي، ولذلك اشتريت القصر حين أعلنت عن بيعه، ولكني أستطيع أن أشم رائحتها في القصر، خاصةً في الغرفة التي كانت تنام فيها، وبالرغم من زيارات النساء اللاتي أعرفهن لي في القصر ورائحتهن المختلفة المميزة الغالية الثمن، إلا أنني كنت أشم رائحتها دائمًا.

وفي صفحة أخرى كتب:

كنت أتجاهل كل ما سمعته عن القصر من حكايات قبل أن أشتريه، فقد كان همي الوحيد شراء القصر، لكي يصبح ملكي شيء منها،

في البداية كنت أظن في قرارة نفسي أني أرد لها الصاع بأن أمتلك شيئًا عزيزًا عليها، وأتشفّى فيها، ولكن الحقيقة أنني حين رأيتها آخر مرة ورأيت ما آلت إليه حالتها الصحية والجسدية من تغيُّر، أشفقتُ عليها، وحين وجدت دفتر اليوميات هذا كنت أطالع صفحات الملاك السابقين، وكنت أهرب من قراءة صفحاتها، ولكني كنت أشعر من وقت لآخر برغبة في قراءة ما كتبته، وقرأت يومياتها، فشعرت بالغيرة والحزن في الوقت نفسه، الغيرة بسبب الرجال الذين كانت تعرفهم، والحزن بسبب ما كان يحدث معها من أحداث تشابه ما كنت أسمعه عن القصر.

وكتب جودت في صفحة أخرى:

مرت شهور عليّ في هذا القصر، وبدأت أشعر بشعور غريب فيه، فقد بدأت أسمع همسات خافته، ثم زادت إلى أصوات أسمعها في كل جنبات القصر، وحتى حين أكون خارجه، هل بدأوا اللعب معي، أم أن هذا بسب أفكاري السابقة نحو القصر.

وفي سطور أخرى:

لقد أصبحت الأصوات أكثر من الأيام السابقة، واتضحت الجمل التي يقولونها، مثل سننتقم منك، لن ندعك تنعم بحياتك، كفى لعبًا بحياة الناس وأعصابهم، كانت تلك الجمل وغيرها تؤرّق مضجعي، وتصيبني بالهلع مهما حاولت التجلُّد، ولكن مع تكرار سماعها بدأت أتأكد أنها أصوات نسائية مألوفة، ولكني لا أتذكر أصحابهن.

وفي صفحة أخيرة كتب:

لقد ظهرن لي وعرفتهن، وأصبحن يهددنني بالموت والقتل، إما على أيديهن، أو بدفعي للانتحار جزاء ما فعلته في حقهن، إنني أستحق ما يحدث لي بعدما فعلته لهن، ولكن كيف أرد حقهن وأغلبهم قد مُتن، يجب عليّ أن أتخلص من هذا القصر الملعون، فحياتي كانت هادئة قبل امتلاكي له، سأهب القصر لابن خالتي (رفعت سعيد البنهاوي)، فقد كانت أمه مثل أمي؛ أحسنت لي ورعتني بعد وفاة أمي، وربما طيبة قلبه تكسر اللعنة التي تصيب كل من يعيش في القصر، وربما أرتاح ولو قليلًا من اللعنة التي أصابتني حين أتخلص من هذا القصر.

وانتهت صفحات اليوميات، فلم يذكر شيئًا آخر.

فقالت (نبيلة): يبدو أن الأرواح التي كانت تهاجمه لم تدعه، وانتقلت ملكية القصر إلى جدي لأمي، فامتلك القصر، هل توجد يوميات باسم (رفعت سعيد البنهاوي)؟

فأجابها (رامي): لا، ولكن توجد يوميات باسم (نبيلة وحيد البنهاوي) فقط.

فقالت (نبيلة): إذن لم يسعف القدر جدي بأن يكتب يومياته، فقد تُوفي في حادث كما أخبرتني أمي، وجدي وجدتي كانا ولدَي عم، ولقب العائلة هو (البنهاوي)، وعاشت أمي في القصر مع جدتي بضع سنوات حتى توفيت جدتي بعد جدي بسنوات قليلة، ثم انتقلت للعيش مع خالي، ويبدو أنها تركته بسبب شيء حدث في هذا القصر لجدتي، ولم تحكِ لي أمي شيئًا يتعلق بالقصر سوى مرة، حين ذكرت لي أن جدي كان يمتلك قصرًا، ولكنها لم تعُد للعيش في القصر أبدًا

بعد وفاة جدتي.

فقال (وليد): اقرأ يا (رامي) اليوميات الخاصة بالسيدة (نبيلة البنهاوي) فهي آخر يوميات في الدفتر، فقد وصلنا للشخصية الثامنة من الشخصيات التي توجد لوحاتها في القصر.

فقال (رامي): نعم، لا توجد بعد يومياتها أي صفحات أخرى، فبعد صفحتين فارغتين بعد يوميات (جودت الجوادي) توجد صفحة كُتب فيها هذا العنوان (يومياتي البسيطة أنا نبيلة البنهاوي).

فكتبت في السطور الأولى منها: لقد تُوفي زوجي الحبيب (رفعت سعيد البنهاوي) في حادث سيارة بعد انتقالنا إلى هذا القصر بشهر واحد، وقد كانت مصيبتنا أكبر من أن نتحملها، لقد كنت أحبه أكثر من أي شيء آخر في الحياة، فنحن أبناء عمومة، فقد كان أبوه (سعيد) هو عمي الأكبر والوحيد لأبي (وحيد البنهاوي)، ومنذ طفولتنا تربينا سويًا، وتشاركنا كل الذكريات والأحداث من الطفولة، مرورًا بالمراهقة، وحتى بداية سنوات الشباب حين تقدم رفعت لخطبتي وتزوجته، وقد عشنا حياة هانئة سعيدة، ورزقنا الله طفلًا وطفلة، فشعرت أن الحياة أعطتني كل ما أتمنى، ولم أعد أرغب في شيء آخر، ولكن القدر لم يمهلني كثيرًا لأتمتع بكل هذه النعم، وأكبرها زوجي الحبيب، فبعد أن انتقلنا إلى هذا القصر، الذي كان ملكًا لابن خالة زوجي (جودت الجوادي)، كنت سعيدة بالعيش مع زوجي في قصر، كل من كان يراه يتمنى أن يمتلكه لطرازه المعماري الفريد، وروعة ما به من تُحف، فعشنا حياة سعيدة هانئة، حتى أتى أتعس يوم في حياتي، حين بلغني نبأ وفاة زوجي (سعيد)

في حادث سيارة حين كان راجعًا من الإسكندرية، وقد نزل هذا الخبر عليّ كالصاعقة، فاسودت الدنيا في عينَيّ، ودخلت في حالة حزن شديدة امتدت لشهور طويلة، ولم تُخرجني منها إلا صديقتي (أحلام) صديقة النادي التي تعرفت عليها قبل وفاة زوجي بشهر، كانت بشوشة الوجه خفيفة الروح، كل من كان يشاهدها ويتعرّف عليها يأنس بها، وقويت علاقتي بها بعد وفاة زوجي، فكانت بجانبي طوال فترة الحداد، وكانت تلح عليّ دائمًا أن نذهب إلى النادي حتى أخرج من حالة الحزن، فكنت أرفض في الشهور الأولى بداعي الحداد والحزن، ولكني استجبت لإلحاحها، خاصةً حين شعرت بأن الأولاد بحاجة إلى أن يخرجوا من حالة الحزن، فكنتُ يوميًا أقابلها في النادي ونتبادل الحديث، حتى شعرت يومًا بعد يوم أن حالتي أفضل.

وفي صفحة أخرى كتبت نبيلة بعض مواعيد لقائها بصديقاتها، وبعض المشتريات التي تريد شراءها، ومواعيد أعياد ميلاد وحفلات صديقاتها.

وفي صفحة أخرى كتبت:

بعد وفاة زوجي قويت علاقتي بصديقتي (أحلام) كان الناس دائمًا يروننا سويًا، حتى كان أغلبهم يظنون أننا أختان، وأصبحت دائرة معارفها ضمن معارفي نظرًا لوجودنا دائمًا سويًا، فتعرّفت عليهم جميعًا، خاصةً وأنني كنت بحاجة إلى وجود أصدقاء، فلم أكن قبل زواجي أو بعده أعرف الكثير من الناس، فتعرّفت بأناس انبهرت بهم، وأناس آخرين صُدمت فيهم، حتى إنني كنت في أغلب الأوقات

ألوم نفسي على تعرُّفي بهم، وعلى التغير الذي حدث لي.

وفي صفحة أخرى كتبت:

كنت دائمًا أنصح صديقاتي اللاتي كُنَّ يحكين لي مشاكلهن، خاصةً التي تتعلق بأزواجهن، أو معارفهن من الرجال، فحين كانت تخبرني واحدة بأنها تعرفت على شخص وهي متزوجة أنصحها بأن تبتعد عنه؛ لأن ذلك التعارف قد يؤدي إلى مشاكل في حياتها، وتترجاني أن أتدخل وأنهي هذه العلاقة، وكنت أستجيب لرغبتها، وغيرها من هذا القبيل، ولكن مع الأسف كان هناك رجال مخادعون يستجيبون لي، ويخبرونني أنهم يشعرون بانجذاب نحوي، كنت أتهرّب منهم في البداية، ولكن ربما لشعوري بالوحدة كنت أستجيب لهم وألتقي بهم، وحين أشعر بانجذابي لهم أتهرب منهم تمامًا؛ لأني لا أريد شيئًا يشغلني عن أولادي.

وفي صفحة تالية كتبت:

ما الذي أفعله، لقد انجرفت وراء مشاعري، ووقعت فيما كنت أنصح به غيري بالابتعاد عنه، ثلاثة رجال وقعوا في غرامي في فترة بسيطة، رغم كل محاولاتي لصدهم والبعد عنهم، إلا أن كل واحد منهم كان يُصر على حبي ورغبته في الارتباط بي، كنت أقوم بافتعال المشاكل مع أحدهم، وتهديد الآخر، وإيقاع الأخير في مشكلة حتى يكرهوني ويبتعدوا عني، ولكن أخبرني أحدهم أنه سوف ينتحر لو ابتعدت عنه، ومع الأسف نفَّذ هذا الأمر، وشعرت بالأسف عليه، وشخص آخر شاهدني برفقة رجل آخر فهددني بالقتل لو قابلت ذلك الرجل مرة أخرى، وبالفعل نفَّذ تهديده، وحاول قتلي

بسيارته، لكنه بدلًا من قتلي صدم الرجل الذي كان معي فخرّ صريعًا، فدخلتُ في حالة نفسية سيئة، وحين علم بكل ذلك أحد الرجال، الذي حاولت فعل المستحيل للابتعاد عنه، زارني وأخبرني أنه علم كل ما حدث، وأنه يريد الوقوف معي في ظل هذه الأحداث الحزينة التي أمر بها، وأخبرته أنني لا أريد أحدًا معي؛ لأنني لا أريد تحمُّل المزيد من عقد الذنب، ولكنه أصر بأنه سيبقى معي، وكان دائم الاتصال بي، وكنت أتهرّب من الرد على اتصالاته، وأخبر الخادمة أن تخبره أنني لست بالقصر، ومع تكرار الأمر أتى إليّ، وأخبرني أنه يعلم أنني أتهرب منه، ولكن حبه لي جعله يشعر أنه لا توجد امرأة أخرى تملأ عينَيه، وإما أن أكون له أو لن أعيش، فخفت منه كثيرًا وقتها، خاصةً حين كانت عيناه تشعّان بالغضب، وكلماته تدل على الوعيد.

وفي صفحة كتبت عنوان (وعيدهم هل يصبح حقيقة) وأسفله الآتي:

خلال حالة الخوف التي كنت أعيشها مؤخرًا، سمعت أصوات همسات مكررة في القصر، على الرغم من أن هذا لم يحدث لي على مدار أربع سنوات منذ أن عشت في هذا القصر، وزادت هذه الهمسات أكثر تكررًا، وأكثر وضوحا، فقد كانت أصواتًا هامسة غاضبة، وقررت أن ألجأ إلى قراءة الكتب الموجودة في مكتبة القصر، أو سماع الموسيقى، فربما أتخلص من هذه الهمسات، ثم قررت أن أقرأ اليوميات الموجودة في هذا الدفتر، على الرغم من أنني كنت أتهرب من ذلك منذ أن وجدته، وفُوجئت بأن من كتبوا اليوميات كانوا يسمعون مثلي همسات مماثلة، ولكني أُصبت بالفزع حين علمت أن نهاية تلك الهمسات كانت مُفزعة، فهل ستتحول تلك الهمسات إلى

وعيد وتهديد.

وكتبت في صفحة أخرى:

لقد أصبحت الهمسات أصواتًا واضحة، وتحمل الوعيد والتهديد لي، إن تلك الأصوات أعرفها، أقسم أنها لهؤلاء الرجال الذين انتهت حياتهم بسببي بشكل مؤسف، ليتني أستطيع الاعتذار لهم عما حدث لهم بسببي، أنا حقًا لم أقصد أن أجعلهم يتعلقون بي، أنا حقًا آسفة على ما حدث لهم، لكن ما ذنبي في أنني كنت أحاول تخليص صديقاتي من معرفتهن بهم، ما ذنبي إن أحبني شخص، لا أدري ماذا أفعل حتى أتخلص من تلك الأصوات، لقد زادت حالتي سوءًا، ويجب أن أتصل بأخي لكي يأخذ الأولاد عنده حتى تتحسّن حالتي، ثم أترك هذا القصر، فقد كان سيء الطالع على زوجي وعليّ.

انتهت صفحات اليوميات، وهذا كل ما كُتب في الدفتر، هذا ما قاله (رامي).

ثم قالت (نبيلة المتولي): أظن بعدما قرأته يتضح أن تلك الأصوات قد أصابتها بالهلع، ولذلك ماتت بسكتة قلبية كما أخبرتني أمي من قبل.

فقال (حامد): والآن بعدما عرفنا كل ما في اليوميات، وعرفنا أننا أقرباء سكان القصر السابقين ما هو المطلوب منا الآن؟

فأجابه (رامي): يبدو أنه علينا الاختيار، إما أن نواجه ما واجهه أقرباؤنا، أو يعترف كلٌ منا بما فعله من أفعال مشابهة، كما قال لنا الصوت قبل ساعتين.

فضحك (هاني) قائلًا: يبدو أن هذا الصوت لو كان حقيقيًا وليس صوتًا داخل عقولنا بسبب حالة الرعب التي نعيشها، كان يريد منا فقط أن نجد تلك اليوميات لنعلم ما نجهله، ثم يعفو عنا ويدعنا نخرج، وإلا لماذا لم يظهر الصوت مرة أخرى بعدما انتهيت من قراءة اليوميات؟

وحينها ظهر الصوت مرة أخرى وقال:

نحن هنا يا (هاني)، ولست أنا ومن معي مجرد أصوات بداخل عقولكم، لقد كنا نستمع لليوميات التي كتبناها نحن، ونتابع تعابير وجوهكم، وقد صمتنا حتى نجعلكم تركّزون مع ما ذُكر فيها، لأنكم ربما تجدون أن تلك الأفعال مشابهة لما فعلتموه.

فقال (وليد): لكننا لم نفعل أشياء مثل تلك الأشياء التي فعلتموها.

فأجابه صوت آخر: اصمت أيها الحفيد، أنت فعلت مثلما فعلنا، أنت ومن معك، كلٌ منكم فعل خطايا يعلمها جيدًا، ولكن يبدو أنكم تريدون الإنكار، مثلما كنا ننكرها ونهرب منها.

فقال (رامي): حسنًا، ما المطلوب منا الآن؟

فأجابه الصوت الذي كانوا قد اعتادوا عليه:

إن أمامكم فرصة لم تُتَح لنا، عليكم الاعتراف بما أذنبتم في حق غيركم لكي تتمكنوا من الخروج من القصر، خاصةً إذا أردتم ألّا يحدث نفس المصير لأبنائكم مستقبلًا، لأننا مع الأسف لم تُتَح لنا مثل هذه الفرصة، ولأن الجينات تورث فقد ورثتم منا طباعنا، وأنتم دون غيركم من إخوتكم من ورثتموها، فعليكم الآن الاعتراف، حتى

تخرجوا من هنا، لأن محاسبة النفس والاعتراف بالخطايا، أول طريق العفو والتوبة، ثم يأتي بعد ذلك تغيير السلوك، وحين يتغير السلوك وتطهر النفس من خطاياها بالتوبة، يصفح الله عما سلف.

فقالت (نجلاء): حسب ما فهمت من كلامكم لو قام كلٌ منا بالاعتراف بما فعله في حياته من خطايا وتصرفات في حق الناس، سيكون هذا هو السبيل الوحيد للتخلُص من مصيرنا في هذا القصر؟

فأجابها صوت نسائي خفي: أجل يا حفيدتي، ولكن ليحرص كلٌ منكم على أن يكون صريحًا وألا يُخفي شيئًا، فربما يكون هذا هو بداية خلاصنا جميعًا من مصيرنا.

صمت الجميع واختفت الأصوات الخفية، وكان على وجه الكُتّاب العمانية علامات التفكير العميق ومقاومة النفس، وما هي إلا دقائق بسيطة حتى قال (رامي):

لقد قررت الاعتراف بكل ما أذنبته في حق الناس، فبعدما قرأت وسمعت تأكدت أنه لا سبيل للتخلص مما نحن فيه سوى الاعتراف، وإن خرجنا من هنا، فيجب علينا أن نرد الحقوق لأصحابها، ونطلب الصفح منهم عمّا بدر منا.

فأومأ الجميع بالموافقة على ما قاله (رامي) وقالوا جميعًا بصوت واحد: سوف أفعل هذا أيضًا.

-٧-

سأبدأ أنا بالحديث أولًا، أنا (رامي أحمد شاكر شلبي) أو كما تعرفونني (رامي شلبي)، مُقدّم برامج وكاتب رعب، عمري لمن يجهله منكم أربعون سنة، وتعرفون بالطبع برنامجي الإذاعي المشهور الذي يستمع إليه الآلاف، بل يصل عدد مستمعي حلقاته إلى ملايين، وبرنامجي المباشر على أحد برامج التواصل الاجتماعي، وتصل نسبة مشاهدة الفيديوهات الخاصة ببرامجي إلى ملايين المشاهدات، وبالطبع كانت هذه النسب مُغرية بالنسبة لأصحاب المحطات الإذاعية والتلفزيونية لعمل برامج لديهم، أو لأكون ضيفًا على قنواتهم، لجذب أكبر عدد من المستمعين والمشاهدين والراغبين في عمل ومضات إشهارية لمنتجاتهم، ففكرة عمل إعلان أثناء برنامج يستمع إليه الآلاف والملايين من المشاهدين مُغرية لمن يريد بيع سلعته.

كان نجاح برامجي ومقاطعي المصورة يزداد يومًا بعد يوم، فدفع ذلك أصحاب دور النشر للتعاقد معي على إصدار سلاسل كتب خاصة بالرعب، فمنهم من طلب مني تفريغ حلقات برنامجي الإذاعي وطباعتها في سلسلة إصدارات تحمل اسم البرنامج، ومنهم من طلب مني تحويل المقاطع المصورة إلى كتاب له عدة أجزاء، كل كتاب يكون محتواه عبارة عمّا قدمته في المقاطع، وهناك من أراد أن ينشر لي سلسلة كتب، ولكن بشرط أن تكون الأفكار جديدة لم تُقدّم من قبل، وبالطبع وافقت على كل هذه العروض، فقد كانت نسب الأرباح مُغرية خصوصًا أني كنت متأكدًا من نجاح تلك الكتب.

وبالفعل صدر أول كتاب لي، وقد امتلأت صفحات الجرائد والمجلات بصورة الغلاف المرفقة مع أخبار صدوره، وانهمرت كلمات المدح والثناء عليه في مقالات كثيرة، مما ساعد ذلك في انتشار الكتاب حتى وصل إلى الطبعة الخامسة في غضون شهرين فقط، وفي أثناء معرض الكتاب حين أعلنت عن يوم حفل توقيع الكتاب، اصطفَّ الناس بمختلف الأعمار من باب الدخول وحتى مكان التوقيع، وقد كان حدثًا فريدًا من نوعه أدى إلى وجود أفراد أمن لتنظيم الحضور، بسبب كثرة الأعداد والتزاحم الذي حدث.

وتوالت إصدارات الكتب والسلاسل، وازدادت شهرتي أكثر يومًا بعد يوم، حتى إن النسخ الجديدة من كتبي كان يتم حجزها من خلال صفحات دور النشر حتى قبل نزولها للمكتبات، فقد كانت تنفد بمجرد إعلان تواجدها بالمكتبات، أدّى كل هذا إلى شعوري بالفخر والغرور، فبعد أن كنت في بداية هذا الطريق أهتم بمعرفة كم عدد مشاهدات الفيديو الذي أقوم بتحميله على صفحتي الشخصية، والذي كان أقصى عدد يصل إليه مئة، أصبحت الآن تصل إلى ملايين، وبعد أن كنت أحاول الوصول لمقدمي البرامج عن طريق بعض المعارف لاستضافتي، أصبحوا هم من يسعون ورائي بالشهور لكي أظهر معهم في برامجهم، وبمقابل مادي يدفعونه لي.

أصبحت حديث الناس، حتى أصبح اسمي مرادفًا لكلمة الرعب حين يذكرها أحد، سواء فيما يتعلق ببرامج الرعب أو كتب الرعب، وكنت حين أتعرف على مُنتِج أفلام يُلح عليّ بأنه يرغب بأن يشتري مني فكرة كتاب من كتبي ليقدمها في عمل سينمائي، في مقابل أي مبلغ أطلبه، وبالطبع كنت أنتهز مثل هذه الفرص ليزيد رقم رصيدي

في البنك، وهكذا تحولت بعض كتبي لأعمال سينمائية، وزادت شهرتي أكثر.

فقال الصوت: كل ما ذكرته يعرفه الحاضرون، وهو بمثابة أمور يعلمها غالبية الناس، فاعترف بما فعلته من أفعال لا يعلمها الجميع!

فأجابه (رامي): حسنًا، إنني فقط أردت أن أمهّد لكم ما سبب شهرتي، حين كنت أشاهد من يقدّمون برامج ومقاطع عن عالم الرعب، كنت أشعر بسطحية ما يقدمونه وبساطتها، فقلت لنفسي لماذا لا تفعل مثلهم، فبدأت بعمل مقاطع مماثلة ولأفكار قُدّمَت من قبل، ولأنني كنت أرى أن أكثر الكتب مبيعًا هي عن الرعب، حاولت كتابة بعض القصص المرعبة، ثم عرضتها على دور النشر لكنها رفضتها، وحينها لمعت في ذهني فكرة، وهي أن أستخدم بعض الكتب الأجنبية في الكتابة، فكنت أشتري الكتب والروايات الأجنبية والمترجمة، ثم أقوم بتغيير أسماء الشخصيات والمدن، وأغير قليلًا من سير الأحداث، ثم أقدمها في مقاطع مصورة على صفحاتي على مواقع التواصل الاجتماعي، وحدث ما كنت أستبعد حدوثه، لقد حصلت تلك المقاطع على مئات المشاهدات ثم الآلاف، ثم مليون مشاهدة في وقتٍ وجيز.

فقررت الاستمرار في هذه الفكرة، وبعد شهر واحد وجدت مالك إذاعة يتصل بي لكي أقدّم برنامج رعب على حلقات، وإذا نجح الموسم الأول سوف يمضي معي عقدًا لعشرة مواسم، كان العرض مُغريًا جدًا، فوافقت على الفور، وقدمت في أول الحلقات أفكارًا جديدة لم أقدمها في المقاطع التي على صفحاتي، بجانب ما كنت

قدمته فيها، ونجح الموسم الأول، مما جعلني أستمر في فكرة نقل الأفكار وتعديل الأسماء فيها، كنت أفعل نفس الأمر من خلال الأفلام الأجنبية القديمة، وحين يتصل بي أحد، أو يكتب تعليقًا بأن هذه الفكرة مسروقة كنت أجيبه أنها مجرد توارد أفكار.

ولكي أتخلص من تلك التعليقات المزعجة قررت أن ألجأ إلى حلٍّ آخر، حاولت أن أكتب ولكني لم أجد فكرة جديدة تجذب الناس، وحينها لمعت في ذهني فكرة خبيثة، وهي لِمَ لا ألجأ إلى الكُتّاب المغمورين الذين دائمًا يراسلونني بأن أساعدهم على نشر كتبهم، أو تقديم أفكارهم في حلقات برنامجي، قررت أن أنفّذ هذه الفكرة، والتقيت بعدد منهم، وأخذت منهم أعمالهم وكنت أعدهم بأنني سأبذل ما في وسعي من أجل أن تُنشر أعمالهم بعد أن أعرضها على بعض أصحاب دور النشر من معارفي، كانوا ينتظرون جوابي، وكنت أتخلص منهم بإخبارهم أن دور النشر لم توافق على أعمالهم؛ لأنها لا ترقى لمستوى النشر.

ولكن الحقيقة لم تكُن كذلك، لقد كانت أعمالهم بديعة بحق، ولكني قلت لهم ذلك حتى يفقدوا الأمل، وكنت أقوم بتغيير الأسماء والأماكن في أعمالهم وأقوم بتقديمها في برنامجي، وبعضها مما نُشر كما ذكرت لكم في سلاسل وأجزاء، وحققت نجاحًا باهرًا.

وهكذا بنيت شهرتي على تعب ومجهود غيري، فكتب بعضهم على صفحاتهم وصفحتي بأنني قد سرقت أفكارهم، ولكن من يصدّق شخصًا مغمورًا يتهم أحد أشهر الشخصيات في الوقت الحالي، فكانت تعليقات الناس عليهم بأنهم يريدون الشهرة بالزج باسمي في

منشوراتهم واتهامي بسرقة أفكارهم، وكنت أكتفي بالمشاهدة دون الرد، وبداخلي شعور بالفرح؛ لأن الناس لا يصدقون عني هذا.

ولكن تحوّل شعور الفرح إلى خوف، خاصةً حين اتصل بي شخص أخبرني أنه من أعطاني بعض أعماله، وأنني سرقت فكرتها ونسبتها إلى نفسي، وأن لديه دليلًا صوتيًا يُثبت أنه أعطاني أعماله، وحينها أخبرته بأنني أريد أن ألتقي به ونتفاهم.

وبالفعل قابلته واستمعت إليه، وكان معه تسجيل صوتي على هاتفه قام بتسجيله حين التقيته قبل عام، عندما أعطاني أعماله وأخبرته أنني سوف أسعى لنشرها، فقلت له إنني أستطيع أن أدّعى أن هذا التسجيل صُنع باستخدام الذكاء الاصطناعي وسوف يصدقني الناس، خاصةً وأنا رجل مشهور وهو مغمور لا يعرفه أحد، فشعرتُ بأنه قد أصابه الإحباط واليأس، وحينها انتهزت هذه الفرصة وقلت له:

لديّ عرض لك، لأنك كاتب جيد، سوف أعطيك مبلغًا من المال مقابل الأعمال التي أخذتها منك من قبل، ولكن بشرط أن تكتب تنازلًا الآن عنها، وأنك تتحمّل المسؤولية القانونية لو ادعيت أنني قد اشتريت، أو أخذت أفكارها منك.

فقال لي مترددًا: وكم سوف تعطيني؟

فقلت له: سوف أعطيك عن كل عمل من الأعمال عشرة آلاف.

فلمعت عيناه حين سمع المبلغ، خاصةً وهو بسيط الحال، فوافق، وأخبرته أنه يستطيع كتابة أعمال أخرى وطباعتها بالمبلغ الذي

سوف أعطيه له، وسوف أساعده مُستقبلًا، وما اتفقنا عليه تم.

وتكرر نفس الأمر تقريبًا، ولكن هناك من ساومني مباشرةً لحاجتهم إلى المال، وهناك من أخبرني أنه لن يسامحني على ما فعلته معه من سرقة تعبه وجهده، وأنه فوّض أمره إلى الله، ولكني لم أكُن أرمي بالًا للأمر، فمن سيصدّق أن الكاتب والمذيع المشهور مجرد سارق أفكار يتسلق على تعب غيره للوصول إلى الشهرة والنجاح.

وكانت اللقاءات التلفزيونية والصحفية ونسب المشاهدات ونجاح الكتب، والنسب المالية التي أحصل عليها من الإعلانات الإشهارية التي تتخلّل برامجي، كانت تدفعني على الاستمرار، وكان المال هو الطريق الأمثل لاستمرار كل ما أفعله وتسهيل استمرار برامجي وكتبي، فالغاية تبرر الوسيلة.

وهذا هو ما تجهلونه من أمري، ولا يعلمه أحد سواي، حتى أقرب الناس إليّ، فمن يرغب في أن يعلم عنه الناس أنه انتهازي وسارق مجهود غيره، ويسعى لفعل أي شيء مقابل المال والشهرة!

نظر جميع الحضور في صمت لـ(رامي) نظرة استغراب وذهول غير مُصدقين ما قاله عن نفسه، فلم يتصوروا أنه على هذه الشاكلة، سارق أفكار وانتهازي، لاهث وراء الشهرة إلى هذا الحد، وقطع هذا الصمت الصوت الذي اعتادوا عليه، قائلًا:

ها قد اعترف أولكم بخطيئته، وبرغم أن ما قاله أمرٌ مُخجل، ولكن يكفيه بأنه تحلى بالشجاعة واعترف بما أذنب أمامكم، وهي فرصة لم تُتَح لي حين كنت حيًا، والآن سوف أخبركم بصاحب الصوت الذي تسمعونه منذ دخولكم إلى القصر، أنا المالك الأول لهذا القصر (شاكر

شلبي باشا)، جدك يا (رامي) مع الأسف، أنا من تسببت في أن تكون حاضرًا هذه الليلة في القصر بسبب أنك ورثت مني الطبع الانتهازي، ولكني لا أعفيك أيضًا؛ لأن لديك العقل الذي كنت تستطيع أن تقاوم به ما ورثته من طباع، ولكنك استسلمت أيضًا كما استسلمت ولم أقاوم رغباتي، ولكن قصتي تختلف عنك بسبب الزمن الذي يفصل بين عصري وعصرك، ومع ذلك، نتفق في أنني كنت برغم ثروتي الطائلة، عندما أعلم أن أحد معارفي يمر بضائقة مالية أسعى إليه وأخبره أنني أستطيع إنقاذه مما هو فيه بتسليفه ما يحتاج إليه من أموال بشرط واحد وهو أن يعتبرني شريكًا له، وأحصل على نسبة ٦٠ في المِئة من الأرباح، كانوا يوافقون على مضض؛ لأن ما أقدمه لهم هو طوق النجاة الوحيد لديهم، ومع مرور الوقت وبسبب الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد في ذلك الوقت، لم يستطيعوا الوفاء بما اتفقنا عليه، وكنت أخبرهم بأنه لا دخل لي، وأنني أريد حصتي من الأرباح حتى لو كانت هناك خسائر، ألا يكفي أنني قمت بدفع ما عليهم من أموال وإنقاذهم من الإفلاس! فأصابتهم الحيرة من أمرهم، فهم بين فكّ الخسارة وفكي، وحينها عرضت عليهم شراء ما لديهم من أراضي أو محلات تجارية، بشرط خصم ما دفعت لهم من قبل من أموال، فوافق بعضهم والغصة تملأ قلوبهم غير راضين عن الأمر، ولكن ما بيدهم حيلة، ومات بعضهم بحسرته على ضياع أمواله التي جمعها من أجل أن يوفر لذويه حياةً كريمة.

وزاد مالي لأنني كنت انتهازيًا حقيرًا أستمتع بسلب الناس حقوقهم وما لديهم، وفي المقابل زاد همي وغمي كما قرأتم في يومياتي، فأصبحت أسمع أصواتهم التي تنذرني بالانتقام ثم ظهورهم لي

كأشباح غاضبة مني تتوعدني بالموت وسوء المصير أنا ونسلي إذا لم أرد لهم حقوقهم، ولأن المال قد أعماني لم أعوّض ذويهم، ولم أرد إليهم ما حصلت عليه ظلمًا، وفي ليلة كنت وحدي في القصر ووجدت أطيافهم تتجمع حولي، وكأنهم يريدون خنقي، فصرخت صرخة مدوية لكي ينقذني أحد منهم، فأصابتني صدمة عصبية مُتُّ على إثرها، ومن وقتها لم تجد روحي السلام؛ لأنني لم أرد الحقوق لأصحابها.

-٨-

كانوا جميعًا في حالة من الاستغراب بعد معرفتهم حقيقة المالك الأول للقصر، وقد اتضحت معاني يومياته بعدما قصّ حكايته، وأيضًا بعدما عرفوا حقيقة شخصية رفيقهم (رامي) الذي كان يشعر بالأسف بعدما عرف قصة جده، وكذلك ما ارتكبه من خطايا في حق الناس، وسمعوا صوتًا آخر كانوا قد سمعوه مرة واحدة من قبل، يقول لهم:

والآن مَن منكم سوف يعترف بخطاياه؟

كان الصمت سيد الموقف، وقطع أستار الصمت صوت (حامد السلحدار) الذي قال:

سوف أُخبركم ما تجهلونه عني، فربما أرتاح من الأفكار التي تتوارد بذهني من بداية الأحداث الغريبة الليلة، واكتشافنا اليوميات.

فأجابه الصوت: أحسنت القرار. هيا، نحن نستمع إليك!

قال (حامد): أنا (حامد أمجد مصطفى السلحدار) كاتب ومُعد ومُقدّم برامج عن المشكلات العاطفية خاصةً، والعلاقات الاجتماعية بشكل عام، عمري في منتصف الثلاثينيات، ورثت ملامحي ذات البشرة البيضاء التي تُظهر أن لي أصول تركية من جدي الذي عرفته من صورته. منذ فترة الثانوية والجامعة كنت محط اهتمام وإعجاب من زميلاتي في الدراسة، فكُن يتغزلن بشعري البني، وعينَيّ الخضراوَين، وملامحي، حتى كان بعضهن يخبرنني أنهن كُنّ يقُمن بعمل رهان بينهن على من سوف تتحدث معي، وتدخل معي في

علاقة عاطفية، بسبب أنني فتى أحلام كثير منهنّ.

كانت فترة المراهقة معلما أخبرتكم، وكان لهذا الأمر تأثيره عليّ، فأصبحت أرى أن أي فتاة سوف تُعجب بي حين تراني، فأصبحت دائم الاهتمام بمظهري وملبسي، وأضع أفخم أنواع العطور، وأغير تصفيفة شعري كل شهر لكي أنال إعجاب أكبر قدر من الفتيات، كنت أهتم بكل موضة جديدة تصدر كل عام، فكثر عدد معارفي من النساء، خاصةً مع تقدمي في العمر والعمل بإحدى الشركات الخاصة بالسياحة، وكان الزملاء والأصدقاء يحسدونني على علاقاتي المتعددة، ومعارفي الكثيرة من الجنس الآخر.

كانت القراءة هوايتي المفضلة بعد الموضة، وكانت تعلق بذهني جمل جميلة وعبارات مفيدة من بعض الكتب التي أقرأها، فكنت أقوم بكتابتها على صفحاتي على مواقع التواصل الاجتماعي، وكنت أتفاجأ بكثرة التعليقات عليها والإعجاب بها، وكنت أجد من يتفاعلن مع أفكار الجمل والمنشورات، ويكتبن ما يُعبّرن به عن مشاكل مررن بها، وحين أقوم بنشر صور شخصية لي كان التفاعل أكبر، وبدأت أستقبل مع الوقت رسائل لمن يشتكين من علاقاتهن العاطفية أو الزوجية، وكنت أجيب عليهن، وحينها قررت أن أكتب منشورات عن العلاقات العاطفية وغيرها، زاد التفاعل وزاد عدد المتابعين.

ومن ضمن من تعرفت عليهن في هذه الفترة بعض المذيعات، فقد التقيت بهن في حفل خاص بالشركة السياحية التي كنت أعمل بها، وأخبرتني إحداهن أنها تتابع ما أقوم بكتابته على صفحتي الشخصية، وعرضت عليّ أن أعمل مُعِد برامج لها، وطرحت فكرة

التعاون بيننا في عمل برنامج عن العلاقات العاطفية، وأخبرتني أن القناة تدفع لها مبلغًا كبيرًا لشهرتها، وسوف تدفع لي مبلغًا محترمًا نظير عملي مُعِدًا للبرنامج الجديد، فوافقت على الفكرة، وبالفعل بدأنا العمل على إعداد الحلقات، وكنا نلتقي دائمًا، وأعددت حلقات البرنامج، وكانت كل حلقة تنجح أكثر من التي قبلها، فتوطدت علاقتي بها، حتى تحولت إلى علاقة عاطفية، وزاد نجاح البرنامج، وكثُرت عروض العمل عليّ من المذيعات الأخريات، للعمل معهن في إعداد برامج لهن، ولأنني كنت أسعى وراء الشهرة، خاصةً وأن المتابعين لي زاد عددهم بعد نجاح البرنامج، فوافقت، فقد كانت المبالغ المعروضة عليّ تغريني، ولكن شعرت بغضب المذيعة التي أعمل معها وعلى علاقة عاطفية بي، وهددتني بأني إذا وافقت على العمل مع غيرها سوف تقطع علاقتها بي، ولأنني كنت متعدد العلاقات، لم أستسلم لتهديدها وأخبرتها أنني لا أقبل التهديد من أي شخص مهما كان، وأنني سوف أستمر بالعمل معها إذا أرادت، ولكني سوف أعمل مع غيرها أيضًا، فرفضت وقالت: إما أن تعمل معي فقط أو ينتهي كل شيء، العمل والعاطفة، فقلت لها: إذن هو اختيارك، سوف ينتهي كل شيء بيننا.

وبعد أن انتهت حلقات الموسم الثاني من البرنامج، انتهت معرفتي بها، واشترطُ على من رغبوا في العمل معي، أن أعمل بأي برنامج أريد العمل به، ما دمت أقوم بعملي معهم دون تقصير، فوافقوا، وزادت شهرتي، وزاد عدد المتابعين، وكان المتابعون يراسلونني بمشاكلهم، خاصةً النساء، كانت المعجبات بي في ازدياد، وكنت حين أرى أن إحداهن لها جمال لافت أرغب في التحدث معها، بل والالتقاء

بها، فكانت تشكو لي مشاكلها، وأقوم بالتخفيف عنها ومحاولة حل مشاكلها، لأنني كنت مشدودًا لها ولغيرها بسبب جمالهن، فوقع عدد منهن في غرامي، ولكني كنت لا أطيل زمن معرفتي وقربي منهن أكثر من شهر، فليس من السهل أن تكون متعدد العلاقات في وقت واحد، كان بعض الفتيات اللاتي أنهي علاقتي بهن يكتبن تعليقات سخيفة عني، وبدأت أشعر بالانزعاج، فلم أكُن أجيب على هذه التعليقات؛ لأن متابعي الصفحة كانوا يعلقون على تعليقاتهن بأنهن أعداء النجاح، وأنهن يشعرن بالغيرة لأني شخصية محبوبة.

وعرضت عليّ إحدى محطات الإذاعة تقديم برنامج حول العلاقات العاطفية ومشاكل الناس، فوافقت، خاصةً أن العرض كان بمقابل مادي، وقدّمت البرنامج بالفعل ونجح، وقدمت منه أكثر من موسم، وعرضت عليّ بعض دور النشر عمل كتاب عن العلاقات العاطفية وعن العلاقات الأسرية وغيرها، فوافقت وزادت نسب مبيعات الكتب، فأصبحت أشترط مبلغًا معينًا للظهور ضيفًا للبرامج، أو للعمل بإعداد البرامج، ونسب معينة من مبيعات الكتب، بل هناك بعض صفحات المنتجات كانت تتعاقد معي لكي أقوم بعمل إعلانات لمنتجاتها أو عمل مقاطع مصورة عن منتجاتها، سواء كانت نسائية أو رجالية، وهكذا أصبحت ملء السمع والبصر، وزادت شهرتي، ومع زيادة شهرتي كانت تزداد علاقاتي العاطفية، والتي كما أخبرتكم لم تكُن تدوم أكثر من شهر واحد.

كنت أحلم ببعض الأحلام المزعجة التي كان محورها يدور حول مطاردة الفتيات والنساء اللاتي كنت أعرفهن أو لا أعرفهن لي، وتهديدهن لي بالقتل، كنت أصحو من النوم مفزوعًا، ولكني كنت لا

أكترث للأمر، وأقول لنفسي إنها أضغاث أحلام وليدة عقلي الباطن بسبب كثرة معارفي وعلاقاتي، وكنت أهرب من هذا بالسفر لأحد المنتجعات السياحية كل أسبوع، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع هناك، وأشارك المتابعين صورًا لي في هذه الأماكن.

وفي مرة من المرات وأنا أقضي عطلتي قابلت إحدى الفتيات اللاتي كنت على علاقة بهن، في البداية لم أنتبه لها، وحين كنت جالسًا وحدي أتت إليّ، وجلست على الكرسي الذي بجانبي وقالت لي:

هل تشعر بالراحة والاستجمام الآن؟

فابتسمت مستغربًا وقلت لها: أجل، أستمتع كثيرًا هنا.

فقالت لي: وهل ضميرك يشعر بالراحة والاستمتاع بما تفعله مع النساء؟

فاستغربت وقلت لها: وما شأنك بهذا؟

فأجابتني: أظن أنك لا تتذكرني، ولا تتذكر ما كان بيننا.

فقلت لها: أنا بالفعل لا أتذكرك، على الرغم من جمالك، ولكن أخبريني من أنتِ!

فقالت: أنا من وثقت فيك، وأخبرتك عن كل أسرارها، ثم قُمت باستغلال هذا للوصول إلى ما تريده مني، وقفت إلى جانبي حتى تحصل على ثقتي فيك، وأسلمت لك روحي ونفسي، وحين مللت مني ووجدت من تجذبك أكثر، تخلصت مني كما يفعل كل نذل جبان، ولم تكترث لنفسيتي التي كانت مدمرة بعد طلاقي قبل أن

أعرفك، فحطمتني أكثر بعد فعلتك، وتركتني بعد أن دمرت كل ذرة ثقة كانت بداخلي، هل تعلم أنني الآن أتعالج نفسيًا بسبب ما فعلته بي؟

فقلت لها وأنا أشعر بالأسف من أجلها: لقد تذكرتكِ، وأعتذر منكِ على ما فعلته.

فقالت: هل تظن أن هذه الجملة الفارغة سوف تكفّر عما فعلته فيّ وفي غيري، لقد قابلت صدفة بعض الفتيات الأخريات اللاتي كُنّ ضحاياك، وسوف أنصحك نصيحة، عليك أن تكفّ عن تصرفاتك المؤذية هذه، أو تذهب لطبيب نفسي، فأنت لست شخصًا سويًا.

فتملّكني الغضب، ولكني تمالكت نفسي وقلت: حسنًا سوف أفعل هذا.

وانصرفت، فقد كانت مشاعري مضطربة ما بين الغضب والحزن والشفقة، ولكن منذ هذا اليوم كنت أشعر بتأنيب الضمير، ولكن الشهرة والمال وكلام المعجبين يجعل الشعور السابق يتلاشى مع الوقت، وأقرر التركيز على ما أفعله وما أوصلني للشهرة، هذه هي الخطايا التي فعلتها، وهذا هو ما تجهلونه من أمري، ولا يعلمه أحد سواي.

صُدم الجميع مما قاله (حامد) فمن كان يتخيل أن الشخص صاحب الملامح الفاتنة حديث الناس والنساء، مجرد شخص استغلالي متعدد العلاقات ومؤذٍ.

ووسط هذا الصمت، قال الصوت الذي سمعه قبل أن يبدأ حديثه:

لا شك أن ما كنت تخفيه عن أقرب الناس لك وعن جميع الناس، وكنت تنكره حين يواجهك أحد به هو أمر منافٍ للأخلاق، ولكني أريد أن أقول شيئًا ليس لتخفيف شعورك بالذنب، ولكن لكي تعلم أن هذا الأمر مع الأسف يفعله الكثير من الناس، ومن هؤلاء أنا أيضًا جدك (مصطفى السلحدار).

ارتسمت على وجوه الكتّاب الثمانية الدهشة مما سمعوه، وأكمل الصوت حديثه قائلًا:

كما قرأتم في يومياتي، كان لدي صديقات ونساء أعرفهن، ولأني كنت أخاف من أن تقع اليوميات بيد أحد من أسرتي لم أكتب توضيحًا لذلك، ولكني سأخبركم بما لم تعرفوه عني، لقد كنت متعدد العلاقات، وخاصةً مع النساء الأرامل والمطلقات، فقد كانت ملامحي الفاتنة ذات الأصول التركية مصدر فتنة للنساء ومصدر جذب لهن، وكنت أتعرّف عليهن في بعض الحفلات الأرستقراطية، أو لأنهن أرامل بعض معارفي، وتوطدت علاقاتي بهن مع الوقت، ووقعن في غرامي، وحين تسافر زوجتي كنت ألتقي بهن على فترات في هذا القصر، ولأنهن لسن بغريبات عن التواجد في القصر بسبب حضورهن للحفلات التي كنت أقيمها فيه، لم يكُن أحد يستغرب زيارتهن لي.

ولأني كنت أخاف أن تعرف زوجتي بذلك، كنت أنهي علاقاتي ببعضهن سريعًا، خاصةً حين يطلبن مني الزواج، فقد كنت أخاف أن ينتهي زواجي بسبب معرفة زوجتي برغبتي بالزواج من غيرها، خاصةً وهي ابنة عائلة كبيرة لها نفوذ، وبسبب رفضي للزواج من بعض النساء، كان بعضهن يُسمعنني شتى كلمات العتاب والغضب؛

لأنني أرفضهن بعدما فعلته معهن، فيخبرنني أنهن لن يسامحنني أبدًا عن ذلك، ولكي يقطعن صلتهن بي، كان بعضهن يتزوجن برجال بيني وبينهم عداوة قديمة حتى يُشعرنني بالغضب، ولكن الأمر لم يؤثّر فيّ، بل كنت أستقبل مثل هذا الأمر بالضحك والارتياح، خاصةً حين أعلم أن بعضهن زيجاتهن الجديدة غير سعيدات فيها، فكنت أشعر أن ما أردن حدوثه لي حدث لهن.

وبعضهن مع الأسف انتحرن، ومع الوقت بدأت أسمع الهمسات المهددة لي كما قرأتم في اليوميات، ومع الوقت رأيت أطياف من انتحرن وهُن يتوعدنني لأنني تركتهن للموت، ولأنني حتى لم أزورهن عند موتهن لأطلب منهن الصفح، وحين شعرت أنني لا أحتمل هذا الأمر قررت التخلص من القصر الذي كان مكان لقائي بهن، فربما يكون هذا سبب ظهورهن لي، وأعطيته لصديقي (فريد الفادي باشا) كتخليص حق أموال بيننا.

ولكن لم يتركنني في حالي، وهاجمتني أطيافهن حين كنت أسبح في شاطئ الإسكندرية، فحاولت التخلص منهُنّ، حين شعرت بأنهُنّ يحاولن إغراقي تنفيذًا لتهديدهن الدائم لي، ولكن مع الأسف لم أنجُ منهن فغرقت في شاطئ الإسكندرية، وهذه هي الخطايا التي ارتكبتها، وورثها عني حفيدي (حامد) كما سمعت منه، ولأنني مع الأسف قبل غرقي لم أفكر يومًا بأن أزور قبور مَن مُتن منهُنّ، أو زيارة اللاتي بقين على قيد الحياة لطلب الصفح، لم تتركني الهواجس ولا أصواتهن ولا أطيافهن حتى غرقت، ولم تعرف روحي معنى الراحة منذ ذلك الوقت.

خيّمت حالة لا تُوصف على الجميع، فبعد سماع قصة (حامد السلحدار) وقصة جدّه (مصطفى) كانوا يشعرون بمشاعر مختلطة ما بين الغضب والنفور، وعلى الرغم من التماسك الذي كان يحاول (حامد) الظهور به منذ بداية أحداث الليلة، فإنه بعدما انتهى هو وصوت شبح جده من القص، كانت تبدو عليه علامات الندم، وكان واضعًا يده على رأسه، وتكاد تكون ملامح وجهه غير ظاهرة.

وبعد دقائق من الصمت قطع صوت آخر السكون، وقال:

مَن منكم سوف يعترف بخطاياه؟

فأجابه (نادر جابر): أنا سوف أعترف.

-٩-

بعد أن قرر (نادر جابر) أن يكون الدور عليه في قص حكايته وخطاياه، التفتت الوجوه نحوه وانتبه له الجميع في انتظار أن يبدأ حديثه، فقال (نادر):

أنا (نادر جابر فريد الفادي)، عمري في منتصف الأربعينيات، مقدّم برامج طبخ ووصفات مأكولات، ومؤلف كتب متنوعة عن المأكولات، هذا ما تعلمونه عني، ولكن ما تجهلونه عني، سوف أحكيه لكم الآن، ورثت عن جدي بشرته الخمرية، وملامحه ذات الوجه الممتلئ وضخامة الجسد، ومن يومياته أظن أنني ورثت بعض صفاته وأخلاقه مع الأسف.

بدأت حياتي بعد أن تخرجت من معهد للسياحة والفنادق، والتحقت بأحد الفنادق الشهيرة المملوكة لصديق أبي، فعملت مع الأفواج السياحية أولًا، ثم بعد ذلك قررت أن أتعامل مع الشيء المحبب إلى نفسي أكثر من أي شيء آخر وهو الأكل، فقد كنت عاشقًا للطعام وطُرق طبخه، وأتابع كل البرامج العربية والأجنبية الخاصة بالطبخ، بل وأشتري الكتب التي تتحدث عن المأكولات وطُرق صناعتها، فأصبحث طباخًا في الفندق، ومع الوقت أصبحت كبير طباخي الفندق.

وفي يوم من الأيام زار الفندق سفير دولة مهمة، وطلب بعض المأكولات الخاصة بمطبخ دولته بعد أن أخبره المسؤولين في الفندق بأن لدينا من يحترف طبخ كل الأصناف، فدفع الفضول السفير إلى أن يرى إن كان هذا الأمر صحيحًا أم لا، فطلب بعض الأطباق

المشهورة في دولته، ولأنني كنت على دراية بتلك الأطعمة قمت بطبخها باحترافية تامة، فنال الطعام إعجاب السفير وطلب مقابلتي، فأخبرني أنه لأول مرة يجد من يقوم بطباخة هذه الأصناف بمثل هذه الاحترافية التي جعلته يشعر وكأنه يتذوقها في بلاده، ومن يد والدته تحديدًا، فطلب مني أن أكون طباخًا في السفارة الخاصة بدولته بمرتب مُغرٍ جدًا، فوافقت على الفور، فتلك فرصة مهمة لملفي المهني.

وبالفعل عملت بالسفارة ما يقارب أكثر من عامين، وبعد ذلك عُين هذا السفير وزيرًا للخارجية في بلاده، ولكن قبل مغادرته قد أمر لي بمكافأة مالية كبيرة، فقررت أن أفتتح بها مطعمًا خاصًا بي في إحدى المناطق الراقية، ويومًا بعد يوم اشتهر المطعم وأصبح له روّاده الدائمون، وبعد عام قمت بافتتاح فرع جديد له، فازدادت شهرة اسم المطعم حتى أصبحت فروعه سبعة، وكنت قبل افتتاح فرع جديد، أقوم بنشر إعلان على مواقع التواصل الاجتماعي عن حاجة المطعم لطباخين مهرة من ذوي الخبرة، فكان يأتيني عدد كبير منهم، وأقوم باختبارهم بنفسي، وأقوم باختيار أفضلهم، ومن أجد فيه المهارة والكفاءة أتفق معه على العمل معي عدد من السنوات بعقد عمل، بشرط ألا يعمل في مكان غير مطعمي.

وبعد شهرة مطاعمي واسمي، قُمت بعمل صفحات على الإنترنت أنشر عليها وصفاتي للطبخ والمأكولات المختلفة، وحصلت مقاطع الوصفات على ملايين المشاهدات، فزادت شهرتي، وفي يوم كان من بين زوار أحد فروع مطعمي صاحب قناة تلفزيونية مشهورة، تحدّث معي وطلب مني أن أقدّم برنامجًا للطبخ على قناته بمقابل

مادي كبير، فوافقت على الفور، ويومًا بعد يوم نجح البرنامج وحقّق نجاحًا مبهرًا، وتعاقدتُ على برنامج آخر لإحدى القنوات العربية المشهورة أيضًا.

وبناءً على شهرة اسمي طلب مني بعض أصحاب دور النشر عمل كتب عن الطبخ والمأكولات المختلفة، وتكون لي نصف مبيعات تلك الكتب فوافقت، وأصبحت تلك الكتب سلاسل مختلفة منها المخبوزات والأكلات الشعبية الخاصة بالدول، إلى غيرها من أنواع المأكولات.

وما إن وصل (نادر) إلى هذا الجزء من الحديث، حتى ظهرت ضحكة سخرية من صوت مجهول وغير مسموع من قبل، وقال الصوت:

هل تريد منّا الآن أن نصفّق لك لما حققته في حياتك؟ لا تراوغ وقُل خطاياك، كل ما حكيته يعلمه أغلب الناس عنك، وما ذكرته في اللقاءات التلفزيونية معك، أخبرنا بخطاياك!

فقال (نادر): حسنًا، إن ما جعلني أصل إلى هذه الشهرة ليست مهارتي في الطبخ، أو ذكائي فقط، بل شيء آخر، استغلال حاجة الناس وتقليلي من شأنهم الذي كان يصل إلى حد الاستهزاء منهم.

فقال الصوت: هذا هو المطلوب هيا أكمل حديثك!

فأكمل (نادر) قائلًا: بعد افتتاحي الفرع الأول ونجاحه وقراري أن أفتتح فرعًا آخر، كنت بحاجة إلى من يعمل في الفرع الثاني، فاتصلت ببعض زملائي الذين كانوا معي في المعهد ومن كانوا

يعملون معي في الفندق ممن كنت أثق في كفاءتهم ومهارتهم في الطبخ، ولأنني كنت أتوجّس خيفة من أن يعملوا معي فترة ما ثم يتركونني، قُمت بجعلهم يوقّعون معي على عقود عمل لمدة عشر سنوات، وإذا أرادوا أن يتركوا العمل معي قبل هذه المدة عليهم دفع مبلغ كبير من المال في مقابل السماح لهم بالمغادرة، وكان هذا الشرط مخافة أن ينقلوا سر صناعة الأطعمة التي أقدمها في مطعمي الأول والثاني، وهكذا فعلت في باقي الفروع.

وحين كنت أسمع بطباخ ماهر في مكان ما كنت أغريه براتب ضخم لكي يعمل عندي، حتى أضمن النجاح لمطاعمي وتصبح أكثر شهرة وأكثر ربحًا، وهو ما حدث بالفعل، ولم يكن يهمني المنافسون بأن أستقطب أمهر الطباخين من عندهم، وهو الأمر الذي أثّر بالسلب عليهم، فخسر أغلبهم وأغلق بعضهم مطاعمهم، وزادت شهرة فروعي، فأصبح اسم مطعمي له وقع على الآذان وشهرة في مختلف البلدان، فقد افتتحت له فروعًا في مختلف البلاد.

وكنت لا أكتفي بذلك، فحين كان يعرض عليّ أحد العاملين عندي أن لديه فكرة جديدة لتقديم طبق جديد أو وصفة جديدة كنت أظهر له الاستهزاء بالفكرة، وأنني أعرفها من قبل حتى لا يطلب مني راتبًا إضافيًا، وأقوم بتنفيذ هذه الأفكار وأنسبها لنفسي، وأقوم بإعطائه مبلغًا من المال كمكافأة له كل ستة أشهر.

وكانت كل الفنادق ترغب في تواجدي للإشراف على مطابخها ولو لساعة واحدة في اليوم في مقابل مادي كبير، وبكل ما ذكرته اخترقت شهرتي الآفاق، حتى أصبح اسمي من أشهر الأسماء على

الساحة كما تعلمون، وكل هذا ليس بسبب مجهودي وحده، بل بسبب الطمع واستغلال حاجة الناس للمال وسرقة أفكارهم ومجهودهم، أعطي لهم الفتات القليل من المال وأستهزئ بهم، وأربح أنا الكثير من المال بسبب شهرة اسمي لاهثًا دائمًا وراء المال.

فقال الصوت: أرى أنك لم ترث ملامحي فقط، ولكنك ورثت دماء الاستغلال أيضًا يا حفيدي، أنا جدك (فريد الفادي باشا)، لقد كنت تاجرًا للغلال والبقول والمحاصيل الزراعية المختلفة، لم أكُن شاكرًا لله على ما أعطاني من أراضٍ كثيرة وأموال طائلة، بل كنت نهمًا جشعًا، أسعى لتحقيق أكبر ربح، فكنت أشتري المحاصيل الزراعية من الفلاحين بأبخس الأثمان، وأُعطي لهم ما يعادل ربع الثمن، وفي أفضل الحالات الثلث، ثم أبيع المحاصيل للتجار في باقي محافظات القطر، أو أبيعها للحكومة في وقت الحرب العالمية الثانية، وقد كانت هناك أزمة في المحاصيل بسبب الحرب، فربحت الكثير من الأموال، على حساب حاجة البسطاء الذين مات عدد منهم كمدًا وحسرة على ضياع أراضيهم، أو من الجوع بعد أن خسروا كل شيء، ولم يجدوا ما يسد رمقهم.

واستمريت هكذا، أشتري بالقليل وأبيع بالكثير، وكنت أشتري الأراضي بأسعار قليلة حتى أضمن الحصول على أكبر قدر من المحاصيل مما يعني ربحًا أكثر، وحين بدأت أسمع الأصوات وسمعت أسماءهم، أدركت أنهم لن يتركوني لأنني قد ظلمتهم وأكلت حقوقهم، وسلبتهم أراضيهم ومحاصيلهم بسب جشعي، ولأنهم كما قرأتم في اليوميات هددوني كثيرًا. أخبرتهم أنني سأحاول رد أموالهم لورثتهم، المهم أن يدعوني في سلام، ولكنهم ظهروا لي

بهيئتهم كأطياف وأحاطوا بي، وشعرت بأنهم يحاولون خنقي، فحاولت مقاومتهم وإبعادهم عني، ولكني مع الأسف، كنت أنا من أخنق نفسي بيدي ظنًا مني أني أبعد أيديهم وأدافع عن نفسي، فقتلت نفسي بسبب الهلع، كم كنت أتمنى لو لم يحدث ما حدث في تلك الليلة، وكنت نفّذت ما كنت قررته أن أُرجع حقوق هؤلاء الناس، ربما لم تعِش روحي مُعذبةً إلى الآن كل هذه السنين.

فقال (نادر): ربما لو كنت فعلت هذا لما ورثت عنك الصفات التي كانت فيك، وما كنت ظلمت غيري أنا أيضًا.

فأجابه صوت شبح جده: لا ثلقِ اللائمة عليّ وحدي، فلكل إنسان عقل يعي به، ويدرك نتيجة تصرفاته.

خيّم الصمت على الجميع، وكان شعور الندم في هذه اللحظة يعتصر قلب (نادر)، فقد ظهر هذا على ملامح وجهه.

-١٠-

قطع أجواء الصمت التي خيّمت على بهو القصر صوت (هاني السعدي)، حيث قال ساخرًا كعادته: لماذا هذا الصمت المريب، هل ما سمعتموه مفاجأة لكم؟ من المفترض أن تكونوا قد تعودتم على عامل المفاجأة، فكل معلومة جديدة علينا نعلمها في هذا القصر بمثابة المفاجأة غير السارة لنا.

فقال (سامي) بحدّة: هل تريد منا أن نطير فرحًا ونحن نسمع مثل تلك الحكايات، أم نضحك ونسخر مما نواجهه مثلك!

فقال (هاني): هوّن عليك يا رجل، أنا لم أقصد هذا، ولكن من المفترض أننا قد فهمنا ما نواجهه الآن، وعلينا أن نكون على مستوى الحدث ونتمالك أعصابنا، ويحكي كلٌ منا ما فعله في حياته حتى ننجو مما نحن فيه.

فقال (رامي): دعونا الآن من الجدال، فالوقت يمر علينا ومصيرنا في علم الغيب، مَن مِن البقية سوف يحكي؟

فقال (هاني): أنا، حتى أوفّر على من بقي التفكير، فالانتظار يزيد توتري، وعندما أتوتر تظهر جينات السخرية على عكس الناس؛ حين يتوترون يتعصّبون.

فقال (رامي): حسنا يا (هاني) كلنا آذانٌ مُصغية، ابدأ حديثك!

قال (هاني): أنا (هاني لطفي وحيد السعدي) كاتب ومقدّم برامج ساخرة، في أواخر الثلاثينيات هذا ما تعرفونه عني، ولكني سوف أحكي لكم ما لا تعرفونه عني الآن، فوراء ضحكاتي وحديثي الساخر

حكايات ليست مضحكة.

تعوّدت منذ صغري ومراهقتي أن أكون ضاحكًا، فأنا أحب الضحك ولا أحب العبوس ولا الحزن، كنت أواجه كل شيء يحدث لي بالضحك، فكل شيء يمر؛ فلماذا الحزن والبكاء! وكان مبدئي (اضحك! تضحك لك الدنيا)، وعلى هذا الأساس كانت حياتي، فكنت في الجامعة صديق كل أفراد دفعتي؛ لأنني كنت في الواقع وفي نظرهم شخصًا مبتسمًا دائمًا، وأحوّل أي حديث إلى هزل وسخرية.

وحتى لا أطيل عليكم هكذا عشت سنوات حياتي، وفي يوم قررت أن أستخدم ما أملكه من موهبة الضحك والسخرية من كل شيء في عمل مقاطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي، فقد وجدت أن مثل تلك المقاطع تصل نسب مشاهدتها إلى الملايين، وبدأت أولًا بالسخرية وتركيب صوتي، مع تعديل بسيط فيه على مقاطع الحيوانات، فأنتم تعلمون أن مثل هذه المقاطع مضحكة جدًا، ثم المقاطع الأجنبية بين الأفراد، كنت أقوم بتركيب صوتي عليها أو التحدّث بسخرية عليها، وحين وجدت أن نسب المشاهدة في ارتفاع، قررت تصوير مقاطع طبيعية مضحكة مع بعض معارفي دون علمهم، حيث كنت أقوم بعمل مقالب فيهم ثم أرفعها على حساباتي الشخصية، وحين كان يغضب مني أحد من معارفي ممن وقعوا ضحية مقلب من مقالبي، كنت أطيّب خاطره بأنها كانت على سبيل المزح وذكرى بيننا، كانوا يتقبلون الأمر في البداية كونه أول مرة أو ثاني مرة، ولكن حين تفاجأوا بأن تلك المقاطع انتشرت انتشارًا كبيرًا، والناس حين يرونهم يسخرون منهم، ويسألونهم هل هم فعلًا الذين ظهروا في مقطع كذا المضحك، كانوا يشعرون بالحزن، وقطع

أغلبهم صلتهم بي بسبب هذا الأمر.

ولم أكتفِ بذلك، بل كنت وما زلت حتى الآن أقوم بكتابة منشورات ساخرة من بعض الأشخاص أو الأحداث المختلفة، لدرجة أن المتابعين لحساباتي على مواقع التواصل الاجتماعي كانوا يسألون متى المنشور الجديد، مما دفعني هذا الأمر إلى الإكثار من المقاطع الساخرة المختلفة والكتابات الساخرة.

ومع الوقت حين اشتهرت مقاطعي ومنشوراتي، تلقيت اتصالًا هاتفيًا من مالك إحدى القنوات الفضائية يعرض عليّ تقديم برنامج ساخر على قناته في مقابل مبلغ مالي كبير، وبالطبع وافقت، فسوف يزيد هذا البرنامج من شهرتي ومدخراتي في البنك أيضًا، وكانت المشكلة الأولى هي ما هو المحتوى الذي سوف أقدمه في البرنامج.

ومع التفكير، وجدت أن السخرية من كل شيء وأي شيء هي السبيل الأمثل لنجاح البرنامج، وكان هذا هو محتوى برنامجي كما تعلمون، فكنت أعرض الأحداث المجتمعية وأحولها لمادة للسخرية والضحك، وكنت أقوم بعمل مقالب في ضيوف حلقاتي، أو التحدث معهم على نحوٍ ساخر مهما كان ضيف البرنامج، وهكذا ارتفعت نسبة مشاهدات الحلقات وحقّق الموسم الأول نجاحًا باهرًا، وقدّمت الموسم الثاني، وكان أكثر سخرية من الأول.

ومع هذا النجاح فكّرت في عمل كتاب ساخر بنفس محتوى برنامجي ومقاطعي السابقة، وكنت أكتب عن أشياء حدثت معي، وكان أبطالها معارفي وأصدقائي بالطبع، وحقّق الكتاب النجاح الذي كنت أتوقعه، ووصلت طباعته أكثر من عشرين طبعة، ولكن خسرت

الأصدقاء والمعارف الذين اعتبروا أنني أشهّر بهم من أجل الشهرة والنجاح، وتوالت الكتب، والبرامج، وفي المقابل كنت أخسر كل من حولي.

وتحدّث صوتٌ غير معروف وقال: جيد جدًا ما ذكرته، ولكن كل هذا متوقع من شخص لديه مثل شخصيتك التي ذكرتها، قُل الآن نتيجة ما فعلته للناس، فما فعلته فيهم هو خطاياك التي تخفيها!

فقال (هاني) بنبرة مليئة بالفزع: قبل أن أكمل، قُل من أنت أولًا!

فقال الصوت ضاحكًا: أنا الذي تنتمي إليه، أنا (وحيد السعدي)، جدك.

فقال (هاني) متمالكًا نفسه: ومن غيرك سوف يتحدث معي، يا سبب لعنتي!

فقال صوت جده: الزم الأدب، واحكِ خطاياك!

فقال (هاني): كما ذكرت عن استهزائي بمعارفي وأقرب الناس لي مع الأسف تدمرت حياتي بسبب هذا الأمر، فزوجتي طلبت مني الطلاق، وقابلت طلبها بالسخرية والتقليل من شأنها وأخبرتها أنني لن أطلقها ولتفعل ما تريد، فتركت البيت وأخذت الأولاد لثبعدهم عني؛ حتى لا يتأثروا بشخصيتي.

أما عن أصدقاء الجامعة مع الأسف، هناك من سخرت منهم أمام الناس أكثر من مرة، وكانوا يتقبلون اعتذاري، ولكن بعد أن قمت بذكرهم في مقاطع لي وشاهدها الناس، بعضهم أصبح حديث الناس فدمرت حياته الزوجية، وبعضهم أصيب باكتئاب نفسي حاد،

ويُعالج منه الآن، وعدد منهم مع الأسف تُوفي من الحزن مما حدث له بسببي، كنت أشعر بالحزن لمثل تلك الأحداث، ولكن كانت نسب المشاهدات ونجاح البرامج والكتب، كل ذلك كان يدفعني دفعًا نحو الاستمرار.

فقال صوت جده: بالطبع حدثت هذه الأمور لهؤلاء على فترات، ومع ذلك كنت تستمر من أجل أن تكمل نجاحك على معاناة غيرك، ولم يهمك المآسي التي تسببت بها لغيرك، تمامًا مثل ما كنت أنا أفعل مع الأسف.

تغيّرت ملامح وجه (هاني) على غير النحو الذي اعتاد عليه الرفقاء أن يرونه به، ففهموا أنه يشعر بالندم على ما ذكره من أفعاله، وحينها أكمل صوت الجد حديثه قائلًا:

مع الأسف كنت أنا كذلك، كنت عاشقًا للضحك والهزل، وكنت أسخر من كل من حولي، وأقوم بعمل المقالب فيهم، على الرغم من أنني كنت شخصية لها مركز مرموق في المجتمع فقد كنت عضوًا بمجلس النواب، فكنت أسخر من خصومي السياسيين، وأقلل من شأنهم، وقد استمريت في هذا الأمر خاصةً حين كانت الصحف تستقبل نكاتي عنهم، وتنشرها مع كاريكاتير ساخر.

واستمريت على هذا النحو تحديدًا حين ملكت هذا القصر؛ فقد كنت أعقد الحفلات والاجتماعات فيه، والتي كان أغلبها يدور حول السخرية من الخصوم وبعض المعارف، ومع الوقت بدأت أسمع همسهم، ثم أصواتهم التي كانت تهاجمني وتسخر مني وتكشف نواياي، لأني كنت أسخر منهم، كوني لست على نفس العقل

السياسي، ولكن ما يعلق ببال الناس هي السخرية والنكات، وليست الصولات القانونية والسياسية، ومع الأسف بسبب أفعالي، تُوفي بعضهم حسرةً وكمدًا بسبب نكاتي وسخريتي منهم.

فكنت أتمالك نفسي حين أسمع أصواتهم محاولًا ألا أظهر بمظهر المرعوب، فربما بهذا التجلُّد أثبت أني لست خائفًا منهم، وقد فشلت محاولاتي في أن أظهر لهم أني لست خائفًا، فحين كنت أسمع الأصوات المتكررة، كنت أتصبب عرقًا من شدة الخوف، وبدأت أخاطب تلك الأصوات وأقول لها إنني لست خائفًا منها، ولكني كنت أسمع وقتها ضحكات سخرية من تلك الأصوات ثم تقول سوف نرى، وأصابتني الأصوات المتكررة بالخوف والهلع، وأصبحت عصبيًا، وتحوّلت ضحكاتي إلى صراخ في وجه كل من يخاطبني، حين علمت أن تلك الأصوات أصوات أشخاص كنت أعرفهم من قبل، وتحديدًا من كنت أسخر منهم، وتسببت في موتهم.

وحين لم أعُد قادرًا على تحمُّل ما يحدث لي، قررتُ التخلُّص من هذا القصر كما عرفتم من يومياتي، حتى لا ينتقموا من أسرتي من بعدي لو نفّذوا تهديدهم بقتلي، وكتبته باسم ابن خال أمي (سعيد السهيلي)، ولم يسعفني القدر لأُكفِّر عمّا فعلته في الناس، ففي ليلة كنت أصارع أصوات الراحلين، وارتفع ضغط الدم من فرط العصبية وتوفيت على الفور، قبل أن أفعل ما كنت قررته من محاولات الصفح من ذويهم التي كنت أريد أن أسعى إليها، لعل أرواح مَن تسبّبت في وفاتهم تتركني في سلام، ومنذ ذلك الوقت وروحي تعيش في هذا القصر تنتظر خلاصها من خطاياها.

صمت الصوت وكانت دموع (هاني) تتساقط من عينَيه، لا يدري هل بسبب ما قاله جده عن أفعاله، أم بسبب أفعاله هو نفسه، وكان الجميع يشعرون بالأسف على ما سمعوه، فمن أسوأ الأمور أن تتلذذ بمعاناة غيرك التي تسببت فيها، بل وتعتبرها طريقة لنجاحك وتحقيق أغراضك.

-١١-

كانت الوجوه حزينة إلا وجه (سامي السهيلي) الذي كان على ما يبدو قد تعوّد على ما يسمعه من مفاجآت، أو ربما لأن طبيعة قلبه القاسية لا تجعله يتأثر كثيرًا بما يسمعه من الناس، وفي هذه الأثناء قال:

سوف أتحدث أنا عن قصتي، وأتمنى ألا يقاطعني أحد، فأنا أريد أن أنتهي منها، فعلى ما يبدو أننا قد تخطّينا سقف التوقعات بسبب أفعالنا.

حين قال كلامه هذا كانت الوجوه مُصوَّبة نحوه، والعيون تركّز شعاع تركيزها على شفتَيه، والآذان مُصغية له بانتباه لتسمع كل ما سيقول، وقد تنبّه لهذا، وحينها بدأ حديثه قائلًا:

أنا (سامي سيد سعيد السهيلي) في أواخر الثلاثينيات، وكما رأيتم كان حرف السين عادةً في عائلتي منذ الجد الأكبر، ميسور الحال، فقد ورث أبي عن أبيه ثروة كبيرة واستثمرها، وكما تعرفون، بعد حصولي على ليسانس كلية الآداب، اتجهت للمجتمع الأدبي، فكنت وجهًا مألوفًا ومعروفًا في كل الندوات الثقافية، والتي مكّنتني من معرفة أغلب الأدباء المشهورين، وارتبطت مع أغلبهم بعلاقة صداقة قوية، وشجعني هذا الأمر على أن أخوض تجربة الكتابة بعد أن كنت أكتفي بكتابة بعض المقالات عن الكتب، وحين نشرت كتابي الأول وجدت التشجيع من معارفي الأدباء الذين راحوا يعبّرون عن إعجابهم بكتابي في مقالاتهم المنشورة في الصحف والمجلات، فلمع اسمي بسببهم، وكتبت الثاني والثالث، فنالت كتبي النجاح

والاستحسان من الجميع.

نجاح كتبي، ومقالات الأدباء الكبار الذين أعرفهم، أعطاني شعورًا بالفخر والغرور في نفس الوقت، فمعنى أن يكتب عنك أشهر الأدباء مقالات تتحدث عن مدى براعتك في الكتابة وأن أسلوبك بديع وفريد من نوعه، فهذا تأشيرة دخول لعالم النجاح في الوسط الأدبي الصعب الذي لا يسمح إلا لاثنين فقط بالتواجد فيه، أديب بحق له أسلوب فريد من نوعه، أو كاتب له معارف مهمّون في الوسط، يُلبسونه رداء الأدب الرفيع، حتى لو كانت أعماله سطحية.

وكنت يومًا بعد يوم أتعرّف على عدد من الكُتّاب المشهورين، وكان هذا الأمر يجعلني أشعر بالراحة النفسية؛ لأنني بذلك الأمر أضمن نجاح أعمالي من خلال مقالاتهم، ومع مرور الوقت تعرّفت على رجال أعمال وفنانين مشهورين، وفي جلسة من الجلسات التي كنت أجتمع فيها بمعارفي من أهل الأدب والفن والمال، تحدّث أحد الأدباء الذين أعرفهم عن عمل من أعمالي، وبأن فكرته أكثر من رائعة، وإذا تحوّلت إلى عمل سينمائي سوف يحقق نجاحًا باهرًا، كان أحد الفنانين المشهورين يستمع جيدًا، وبعد أن قال الأديب هذا القول، قال الفنان:

إذن لماذا لا نحوّله بالفعل إلى عمل سينمائي!

فقلت له: لكن الأمر يتطلب منتجًا؛ لأنه سوف يتكلّف ملايين الجنيهات.

فقال الفنان وهو يبتسم: لا تخَف؛ فالمنتج موجود.

فقلت: ومن هو؟

فقال الفنان وهو يشير نحو أحد رجال الأعمال الجالس معنا: صديقنا رجل الأعمال الكبير.

فقال الرجل: إذا كنتم ترون أن هذا العمل سيكون ناجحًا، وترون أنني أنسب شخص لإنتاجه، فلا مانع عندي.

وبعد هذه الجلسة تم الاتفاق على تحويل الكتاب إلى فيلم سينمائي وكتبت السيناريو الخاص به، وأخرجه مخرج كبير، وتم عمل الفيلم وعُرض في السينمات المختلفة، وحقق نجاحًا مُبهرًا، حتى إنه حصد أكبر نسبة أرباح في وقت عرضه وطوال العام، مما شجع المخرج والمنتج للتفكير في التعاون على عمل جزء آخر من العمل، واتفقوا معي على تحويل الجزء الثاني من الكتاب إلى فيلم، وهو ما حدث.

وحقق الجزء الثاني من الفيلم نجاحًا أكبر من الأول، وشجّع هذا المنتجين للتعاقد معي على كتابة سيناريوهات أفلام ينتجونها مهما بلغت تكلفة الإنتاج، فالأرباح التي حققتها الأفلام السابقة التي كتبتها كانت كافية لجعلهم يرغبون في إنتاج أعمال ناجحة تُدر عليهم الأموال، فكتبت سيناريوهات أخرى ولاقت النجاح، ولمع اسمي كسيناريست بعد أن لمع بصفتي كاتبًا.

كل نجاح لي كان يصيبني بالفخر والغرور، فحين تكون حديث الناس والصحف، ويتصل بك مقدمو البرامج لتكون ضيفهم بأي مبلغ تطلبه يجعلك هذا الأمر تشعر بأنك قد وصلت لمكانة مهمة، ونفس الإنسان إذا ما لاقت الشهرة تتطلب المزيد منها، فرونق الشهرة لامع

جذاب مثل الذهب، يخطف الأبصار ويُذهب العقول.

في تلك الفترة كان أي شخص يخطر على بالكم الآن من الوسط الفني والإعلامي والأدبي والمالي كنت قد تعرفت عليه، فبعد أن كنت أنا من يسعى لمعرفتهم، صاروا هم من يسعون للتعرُّف بي، فنجاح كتبي ثم أفلامي جعلني اسمًا مهمًّا، وزادت دائرة معارفي، فمعنى أن تعرف فلانًا وعلانًا أنك سوف تكون معروفًا لمعرفتك بهم، مما أدى هذا إلى أن أقدّم برنامجًا تلفزيونيًا بعد أن كنت أكتفي بمقاطعي المصورة على صفحاتي الشخصية، وقد نجح البرنامج منذ حلقاته الأولى، حتى وصل عدد مشاهداته إلى ملايين.

أدّى كل ذلك إلى فكرة عمل ورشات كتابة سيناريو بمقابل مادي، وبالطبع لم يكُن المبلغ بسيطًا؛ فنجاح أفلامي كان كافيًا لجعل من يرغبون في تعلُّم كتابة السيناريو يلجؤون إليّ لتعليمهم، مهما كان المقابل المادي، وكانت ندواتي كاملة العدد، لا يوجد موضع لقدم فيها، فكل الكراسي ممتلئة، وحتى من وقف على قدمه كان يقف بصعوبة؛ لأن المكان ممتلئ عن آخره، وبعد كل هذا، أظنكم الآن تعرفون سبب شهرتي.

فقال صوت غير مألوف:

أرى أنك ورثت من جدك عادة الفخر والتباهي، لدرجة أنك لم تلحظ أن كل ما ذكرته هي مآثرك ونجاحاتك، ونسيت أن دورك في الحديث هو لذكر خطاياك، وليس التفاخر بما فعلته في حياتك.

فقال (سامي): هذه أول مرة أسمع فيها صوتك، من أنت؟

فقال الصوت بسخرية: أنا (سعيد السهيلي) يا حفيدي، ويبدو أنك ورثت مني صفاتي مع الأسف.

فقال (سامي) مرتبكًا: يبدو ذلك!

فقال الصوت: هيّا، أخبرنا بخطاياك!

فقال (سامي) متنهّدًا: حسنًا، في بداية حياتي، كنت أحب فتاة، وكنت قد وعدتها بالزواج بعد أن أنشر كتابي الأول، وكانت تقف بجانبي وتشجعني، وحين نجح الكتاب، وسألتني ألم يحِن الوقت لكي نتزوج؟ أخبرتها أن نجاح كتاب ليس كافيًا، ووعدتها بعد الثاني سنتزوج، وتكرر الأمر مع الثالث والرابع، وكانت تصبر عليّ لأنها تحبني، ولكن مع نجاح أعمالي شعرت أنها ليست مناسبة لي، فكيف لي أن أعرفها على معارفي في الوسط الذي أصبحت فيه نجمًا مشهورًا وهي من أسرة بسيطة، على الرغم من أن كل صفاتها جميلة، فهي عاقلة وطيبة ومؤدبة، ولكن عيبها في نظري في ذلك الوقت أنها من أسرة فقيرة، وأنا مُحاط بمن هم من أكبر العائلات وأشهرها، فقررت أن أنفصل عنها ولا أتزوجها، ومع الأسف لم أرِق لدموعها ولم أهتم لألمها بعدما انتهت علاقتنا، وكانت هذه خطيئتي الأولى.

منذ ذلك الوقت كنت أتعرف على أجمل الفتيات في الجلسات والندوات، وكانت تحدث بيننا علاقات عاطفية، ولكنها سرعان ما تنتهي من الطرفين، فكلٌ منا كان يدخل العلاقة من أجل ما لدى كلٍّ منا من شهرة أو مال، فقد كانت علاقة منفعة متبادلة، ومع الوقت وضعت حدًا لهذا الأمر بالزواج من فتاة من أسرة غنية، واستقرت حياتي الشخصية.

وخطيئتي الثانية، أنني كنت آخذ بعض الأفكار من كتب كُتّاب كبار كنت أعرفهم، وأضمن الفكرة الرئيسية داخل أعمالي، مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها، حتى لا يشك أحد في أنها مأخوذة من أفكار شخص آخر، خاصةً أن هؤلاء قد ماتوا، فلا يوجد أحد يتهمني بأنني أخذت الفكرة منه، ونجاح هذا الأمر في فيلمي الأول جعلني أستمر في هذا الأمر، بخلاف حين يحكي لي بعض من أتعرّف عليهم أو بعض الأشخاص الموجودين ضمن الورشات التي أقدمها فكرة جديدة، كنت آخذ الفكرة منه، وأغير بعض الأشياء فيها، وأحوّلها لفكرة مكتملة، ولا أذكر حتى اسمه، مما جعلهم يُصابون بالإحباط واليأس، وصرفوا النظر عن الكتابة، فقد تسببت في أن يفقدوا الإيمان بقدراتهم بعد أن كانوا يعتقدون أنني سوف أساعدهم على الوصول للنجاح.

كان كل همّي هو الوصول إلى الشهرة والقمة مهما كان الثمن، وفي مرة من المرات، كنت قد قررت إقامة ندوة بمكان مفتوح، ولكن مع تخصيص أماكن مخصصة لبعض الفئات الخاصة من معارفي بعيدًا عن باقي الجمهور، ومع الأسف، كان هناك حاجز يفصل هؤلاء عن معارفي، حينها كنت أرى الأمر عاديًا وطبيعيًا، لكني بعد فترة حين تذكرت نظرات الحسرة والحزن في أعين بعض الناس، شعرت أن هذا الأمر كان يجب ألّا يحدث؛ لأن التعامل مع الجمهور على أنه فئات مختلفة هو أمر معيب ولا يليق، فالناس سواسية، ومع الأسف لم أشعر بهذا الأمر في حينها؛ فقد أعمتني الشهرة عن رؤية الحقيقة والصواب.

قال صوت جده: الآن ذكرت ما كنا نريد أن نسمعه، على الرغم

من محاولاتك ألّا تحكي لنا هذه الخطايا؛ لأن شخصيتك الوصولية القوية كانت تأبى أن تعترف بها، والآن حان دوري لأوضح لكم السطور التي قرأتموها في يومياتي.

كما علمتم، كنت دائم التعرُّف على أهل المجتمع من أصحاب المال والمشاهير في شتى المجالات، وكانت غالبيتهم من النساء، فكنت ألتقي بهم لتسهيل عمليات خاصة بشركتي، أو لكي يقوموا بتعريفي على بعض رجال المال والسلطة لتسهيل كل شيء أحتاجه، وكنت باذخًا في تلك الأمسيات حتى أضمن ولاءهم لي، فكانوا يساعدونني على ربح المناقصات التي تدخل فيها شركتي من خلال نفوذهم، فربحت شركتي كل المناقصات، وخسرت شركات كثيرة كانت عروضها أفضل من عروض شركتي، فأفلست شركات وخسرت بعضها واشتريتها بثمن بخس، وأُصيب أصاحبها بالصدمة أو مات بعضهم.

وقبل موتي ومع تكرار سماعي للأصوات التي كنت أهرب منها في القصر، حاولت أن أقوم بإرجاع الأموال لبعض أصحاب الشركات في صورة أموال عمل كانت بيني وبين أصحابها، إلا أن بعض ورثتهم رفضوا قبول تلك الأموال؛ لأنهم يعلمون حقيقة ما فعلته، وما أدى لوفاة أهلهم حسرةً على ضياع شركاتهم.

وهناك من طلبوا أن أخبر العملاء في المجال أنني كنت أسعى بطُرق ملتوية لربح المناقصات وبالطبع رفضت؛ لأنني لم أكُن لأخسر سمعتي لقبول صفحهم، ولكن يا ليتني قبلت بهذا الأمر قبل موتي، فربما استراحت روحي مما أنا فيه منذ موتي وحتى الآن، وبرغم

أنني تخلصت من القصر بوهبه إلى (نجلاء هانم الربيعي) كرد لجميلها عليّ بما قدمته لي من خدمات بتعريفي على أصحاب النفوذ، فإن روحي لم تزَ الراحة منذ موتي، وصارت حبيسة بين جدران القصر الذي كان شاهدًا على عقد اتفاقات إرساء الصفقات عليّ دون غيري وظلم الناس.

صمت الصوت، ففهم الجميع أنه قد فرغ مما يريد أن يحكيه، فاليوميات وما قاله الآن يُظهران كل شيء عن حياته، والسبب الذي جعل روحه حبيسة في القصر، وخيّم الصمت على الجميع، وشعروا بأن نتيجة الأفعال هي ما يحصده الإنسان.

-١٢-

كانت قلوب الجميع تخفق بسرعة حتى كأنك تكاد تسمع صوت نبضاتها، فقد كانت مشاعرهم ممتزجة بالخوف والحزن، فمع كل حكاية يسمعونها تزداد هذه المشاعر بداخلهم؛ لأنهم يشعرون أنهم يستحقون الوضع الذي هم فيه الآن.

كان الرجال يحاولون تصنُّع التماسك، ولكن نظرات عيونهم تفضح ما بداخل صدورهم، المليئة بالندم والحزن والخوف من المصير الذي ينتظرهم، أما المرأتان فلم يكُن حالهما أفضل منهم، فكانت الدموع تغالبهما برغم أنهما تحاولان التماسك.

وبعد أن انتهى (سامي) من سرد خطاياه، وأتبعه صوت جده والذي اختفى بعد أن انتهى هو أيضًا من توضيح سطور يومياته، شعرت (نجلاء) برغبة في البوح عما تخفيه عن الجميع، حتى تزيح الثقل الجاسم فوق صدرها الذي تشعر به، فقد شعرت بهذا الشعور بعد أن سمعت قصة وأخرى من رفقائها، فأرادت أن تريح نفسها بأن تفصح عن خطاياها، فمواجهة النفس بأخطائها تكون سببًا في الراحة، وهذا ما قررته، فقالت:

والآن أعتقد أن ترتيب اليوميات وترتيب ملاك القصر يوضح أن الدور عليّ الآن لكي أبوح لكم عما ارتكبته في حياتي، وكذلك لأني أريد أن أزيح الثقل الذي أشعر أنه يجسم على صدري.

فسمعت صوتًا أنثويًا تسمعه لأول مرة في حياتها هي ورفقائها، يقول:

أحسنتِ يا (نجلاء)، فالبوح والاعتراف هو السبيل لراحة النفس، ولو قليلًا.

فقالت (نجلاء): من أنتِ، هذه المرة الأولى التي نسمع فيها صوتك!

فقال الصوت: ألم تفهمي بعد يا بُنيّتي، إنني مالكة القصر السادسة، أنا (نجلاء هانم الربيعي) جدتك.

فارتبكت (نجلاء) وقالت: عذرًا، فالوضع الذي نحن فيه يربكني، ويجعلني أنسى حتى اسمي.

فقال صوت جدتها: لا عليكِ، هيا احكي قصتك لكي أحكي أنا أيضًا بعد أن تفرغي من سردك.

فقالت (نجلاء): أنا (نجلاء فوزي حفظي الششتاوي)، أو كما تعرفوني (نجلاء فوزي) عمري ثلاثون عامًا، خبيرة تجميل وخبيرة تغذية، بدأتُ حياتي العملية بعد أن تخرجت من كلية الفنون الجميلة، ولأني عاشقة للميك أب، اتجهت لمجال التجميل، فبدأت بعمل فيديوهات عن الميك أب، وتسريحات الشعر، وبدأ عدد المتابعين لصفحتي في الازدياد يومًا بعد يوم، حتى وصل إلى مليون متابع، ثم بعد أن قمت بعمل صفحات أخرى على برامج التواصل الاجتماعي المختلفة وصل عدد المتابعين إلى عشرة ملايين، وكنت أقوم أيضًا بعمل فيديوهات عن وصفات التغذية، حتى عرفني الناس، واشتهرت بأنني خبيرة التجميل والتغذية.

وكنت أقوم بعمل بث مباشر على صفحاتي لعمل وصفات التجميل مباشرةً للمتابعين، وانهالت عليّ الطلبات من الراغبات في عمل

ميك أب خاص بغرسهن أو مناسباتهن، وبرغم أن جلسة التجميل والزينة التي كنت أقوم بها للفتيات، خاصةً في ليلة العرس تتكلّف مبلغًا كبيرًا، فإن دفتر مواعيدي كان ممتلئًا لأربعة أشهر على الأقل، فكان يتم الحجز مسبقًا، ومنذ هذا الوقت بدأت اللقاءات التلفزيونية تتوالى عليّ؛ لأن شهرتي كانت في ازدياد، ومع الشهرة ومع المناسبات، تعرّفت على كثير من المشاهير في كافة المجالات، وكانت شهرتي في مجالي سببًا في أن تقدّم لي قناة تلفزيونية عقدًا للعمل فيها كمقدمة برنامج للتجميل ووصفات التغذية، ونجح البرنامج ناجحًا مُبهرًا، فقد بلغت نسبة مشاهداته ملايين المشاهدات، فكان هو أكثر برنامج في القناة من حيث نسبة المشاهدة.

كان هذا الأمر يُشعرني بالسعادة والغرور، فأنا بعد في الثلاثين، وحققت شهرة كبيرة لم تصل لها نساء في المجال من قبلي منذ سنين، وكانت المعجبات حين يرونني يريدون التقاط الصور معي، ولأنني قد تعرّفت على عدد كبير من المشاهير من رجال المال والأعمال والفن، كنت دائمة الحضور في الحفلات المختلفة التي تتصدر صورها الصحف والمجلات.

ولأنني جميلة ومشهورة وغنية، كنت فتاة أحلام لرجال كُثر، وأغلبهم كانوا من أهل المال أو الفن، فوقع في غرامي الكثير منهم، وكنت أشعر بالطبع بالسعادة، فالمرأة حين ترى أنها محط اهتمام وحب من الرجال تشعر بالسعادة المغلفة بالغرور، خاصةً حين يكون من هو معجب بها أو وقع في غرامها، رجل في غاية الجمال، تتمناه كل الفتيات.

فكنت أتعرّف عليهم، وأدخل معهم في علاقات عاطفية، ولكني سرعان ما كنت أهرب منهم؛ فقد كنت أخاف من الانجراف وراء مشاعري. فهذا يعني أن أكون ملتزمة في إطار ما، مما قد يؤدي إلى تركي لمجال عملي الذي أعشقه والذي هو مصدر شهرتي وأموالي، وأنا لا أرغب في أن أفقده أو ينطفئ نجم شهرتي، فحين أشعر أن من أعرفه يريد علاقة جادة تكلل بالزواج أهرب منه، ولم أكن أكترث لتأثير هذا عليه، فالمهم عندي هو حياتي أنا.

وتكرر هذا الأمر مع أكثر من شخص، وحين كنت أشعر برغبة في الارتباط بشخص ما، وأجد أنه يهرب مني لأنه يعرف طباعي التي تخشى الارتباط الجاد بسبب عملي، كنت أنا من أسعى وراءه؛ لأنني كنت أرى أنني لا أُرفض ولا أقبل أن يرفضني أحد أو أن يهرب مني، فكنت أطارده باتصالاتي وبدعواتي له لحضور حفلاتي التي أقيمها كل فترة، ويحضرها مشاهير المجتمع، وحين أجده بدأ يحبني كنت أتركه، فأنا من أترك لا من تُترك.

وهكذا كانت حياتي، ناجحة في عملي، محطمة قلوب الناس، لا أكترث لشيء إلا نفسي فقط، فأنا لا أريد أن أفقد نجاحي وشهرتي من أجل أي شيء.

فقال صوت جدتها: أرى أنكِ مع الأسف ورثتِ هذا الشيء مني، على الرغم من أنني حاولت منع هذا الأمر من خلال إبعاد أبيكِ عن هذا القصر من خلال المزاد، ولكن يبدو أن ذنب من حطمت قلوبهم تسبب في أن ترثِي مني هذا الأمر.

فقال (رامي): ربما يكون هذا صحيحًا، ولكن لكل إنسان عقله

يعي به الصواب والخطأ، نريد منكِ أن تحكي لنا ما يوضح السطور الأخيرة من يومياتك، فقد فهمنا من اليوميات بعض الأشياء، ولكننا لم نفهم بعضها.

فقال الصوت: حسنًا، لقد كنت أرملة في الثلاثين من عمري، لديّ ابن وحيد، ومع ذلك لم أفكر في الزواج؛ خوفًا من ألّا يهتم من سوف أتزوجه بابني، ويأمرني بأن أتركه عند أهلي ويعيش ابني حياة تعيسة، فقررت ألا أتزوج من أجل أن أرعاه، وكنت جميلة كما رأيتم لوحتي، وكان جمالي هذا سببًا في أن يجعلني فتاة أحلام لعدد كبير من الرجال، خاصةً وأنني كنت أحضر حفلات أصدقائي وصديقاتي، وقد تعرفت على عدد كبير من رجال الأعمال والمشاهير، ولأنني وجه مألوف وجميل، كان بعض معارفي يلجؤون إليّ حين يريدون مني خدمة لتعريفهم على بعض رجال الأعمال لتسهيل أعمالهم، أو بعض الصفقات في مقابل نسبةٍ ما، وكنت أرحب بهذا الأمر ما دام هناك نفع لي.

ومع الأسف كان هناك من يخسر أمواله لأنني كنت سببًا في معرفة فلان بصاحب نفوذ بشركة يجعل المناقصات ترسو على شخص عرّفته به، وكان ممن خسر أمواله مع الأسف شخص كنت أعرفه دخل في اكتئاب حاد أدى إلى وفاته، وهذا من كنت أسمع همس صوته يطاردني في بعض الأحيان.

وكنت لا أهتم بهذا الأمر، فالمهم عندي أنني أنتفع ماديًا من وراء هذه الأمور، وكان هناك بعض الرجال الذين وقعوا في غرامي، كنت أنساق وراء مشاعري، ولكن كنت أخاف من فكرة الارتباط من أجل

الحفاظ على ابني، فكنت بعد فترة أُنهي علاقتي بهم، لم أكترث بعد ذلك بهم وأهرب تمامًا من اللقاء بهم، ومن هؤلاء شاب جميل جدًا، كانت كل النساء تُفتن به، وكان حلمًا لأي فتاة أو سيدة، فقد كان من عائلة كبيرة ولديه من الأموال ما يجعله يعيش هانئ البال طوال حياته، وقع في غرامي، ووقعتُ أيضًا في غرامه، فمعنى أن يختارني أنا فهذا أكبر دليل على أنني أجمل امرأة في عينه برغم كل النساء الجميلات حوله، وكان هذا يُشعرني بالغرور، ولكني بعد أن ملكت قلبه أنهيت علاقتي به خوفًا من فكرة الارتباط التي تعني تغيير حياتي رأسًا على عقب، فكنت أتهرّب من اتصالاته حين يتصل بي، وحين يحضر إلى القصر أجعل الخدم يخبرونه أنني لست موجودة، مما أصابه بالإحباط، ودخل في حالة نفسية سيئة، ظل سنوات يعالج منها وبعدها تزوّج فتاة اختارها له أهله، ولكنه لم يعرف معنى السعادة معها كما علمت من بعض الأصدقاء، وكنت قبل موتي أسمع صوته وهو يتهمني بالقسوة؛ لأنني حطمت قلبه.

ومع الأسف تكرّر هذا الأمر مع عدد ممن عرفتهم، وكنت أسمع أصواتهم واتهامهم لي بأنني مجرمة تسببت في إفلاسهم، وقاسية القلب حطمت قلوبهم بإيقاعهم في حبائل عشقي وتركي لهم، وبالرغم من أنني قد اعترفت لهم بما فعلته في حقهم وطلبت منهم الصفح، فإنهم طلبوا مني أن أذهب إلى ذويهم وأطلب منهم الصفح أيضًا، وحينها سوف يتركونني في حال سبيلي، ولكن القدر لم يلهمني، فقد فشلت في الوصول إليهم؛ حيث انتقل بعضهم بعد إفلاسه من الأماكن التي كانوا يسكنون فيها، ورفض بعضهم مقابلتي بعدما فعلته فيهم وفي أبنائهم، مما أدخلني هذا في حالة نفسية

سيئة، وفقدت الكثير من وزني وأصبحت أكثر شحوبًا من قلة النوم والتغذية، وأخبرني الطبيب في زيارتي الأخيرة له أنني أحتاج إلى الراحة، ولكن كيف السبيل لها، مع كل هذه الأصوات التي كانت تطاردني، لقد كان هذا القصر شؤمًا عليّ، ولذلك أردت إبعاد ابني عنه لكي لا يواجه مصيرًا مثل مصيري، فطلبت من المحامي كما قرأتم إقامة مزاد على هذا القصر، حتى لا أتسبب لابني أو لأحد أفراد أسرتي بمواجهة نفس مصيري، ومنذ وقتها، ولأني لم أحصل على صفح من تسببت لهم بالحزن والصدمة والإفلاس وتحطيم قلوبهم وموت بعضهم، ظلّت روحي كما ترون حبيسة بين جدران القصر الذي شهد عقد الاتفاقات الظالمة، ولقاءات الحب الواهية والوهمية، والتي حطمت القلوب.

ليت الإنسان يُدرك نتيجة أفعاله في وقتها قبل فوات الأوان، فما نفع الندم بعد أن يمضي العمر وينتهي الأجل.

صمت صوت (نجلاء هانم الربيعي) وكانت (نجلاء فوزي) تبكي، فهل كانت تبكي على ما قالته جدتها، أم كانت تبكي على أفعالها هي، والتي تكاد تطابق أفعالها وخطاياها في حق غيرها.

وخيّم الصمت على المكان، وكان الجميع يتبادلون النظرات لبعضهم، فكل حكاية يسمعونها الليلة يندى لها الجبين.

-١٣-

مرّت دقائق من الصمت الذي أصبح معتادًا بعد انتهاء كل قصة يسمعونها من رفيق لهم في هذه الليلة، وتبدّلت نظرات الاستغراب التي كانوا ينظرون بها إلى أول شخصين حكيا حكايتهما إلى نظرات مليئة بالشفقة والخجل، فكلٌ منهم يحمل بداخله أفعالًا يندى لها الجبين، فكيف لواحد منهم الآن أن يستغرب من أفعال رفيقه، وأفعاله ربما أكثر سوءًا منه.

وبعد دقائق من الصمت قال (رامي): لم يتبقَّ منا إلا (وليد) و(نبيلة)، فمن منكما سوف يبدأ بسرد حكايته أو خطاياه تحديدًا؟

فقال (وليد): سوف أحكي أنا أولًا حتى نكون اتبعنا الترتيب الزمني الخاص بملاك القصر.

فقال (هاني): أتركت كل ما نحن فيه، وتريد الحفاظ على تريب المُلّاك في السرد!

فأجابه (سامي): الأمر لا يحتمل المزاح أو السخرية يا (هاني)، فلتدعه يحكي قصته، فإن قرار أن تحكي عن نفسك ما لا يعلمه غيرك، وأمام الناس، هو قرار ليس بالسهل.

فتنهّد (وليد) قائلًا: معك حق، لقد كنت مترددًا في هذا الأمر قبل أن يبدأ أي أحد بالحكي، ولكن لأنه لم يتبقَّ غيري و(نبيلة)، فقررت أن أبدأ أنا، وأنتهي من هذا الأمر الذي يُتعبني بشدة منذ أن فهمت ما نحن فيه.

فقال (رامي): هوّن عليك، وابدأ بسرد قصتك!

فقال (وليد): مع الأسف بعد أن رأيت لوحة جدي (جودت الجوادي) ورأيت ملامحه، وجدت أنني قد ورثت ملامحه؛ فوجهي الدائري وبشرتي القمحية اللون، والعينان الواسعتان السوداوان، والوجنتان الممتلئتان وغيرها من الصفات الظاهرية التي شاهدتموها في اللوحة تجدونها أمامكم مُجسّدة فيّ، أنا (وليد مجدي جودت الجوادي) خريج كلية التجارة، عمري اثنان وثلاثون سنة، بعد تخرُّجي عملت محاسبًا في بعض الشركات، ثم مللت العمل في المكاتب بين الجدران، فقررت العمل مندوبًا لشركة، فمن حيث الراتب هو أعلى من راتب المحاسب، ومن حيث الحرية أعمل كما يحلو لي وأتحرك كيفما أشاء، ولكني وجدت أن هذه المهنة أقل من مستواي فتركتها، ورجعت للعمل في المحاسبة، ولكني مللت منها، فعملت بالتجارة. فقمت بمشاركة صديق لي وتخصصنا ببيع المستلزمات الطبية، وبدأ العمل مع الوقت يكبر، وحينها قررتُ أن أقوم بعمل فيديوهات عن بعض المنتجات كنوع من الترويج والتسويق لها، وقد نجحت هذه الفيديوهات في تحقيق نسب مبيعات جيدة مع الوقت، وقررت شركات تلك المنتجات الاتفاق معي على الاستمرار في عمل هذه الفيديوهات في مقابل نسبة تخفيض على المنتجات، خاصةً بشركتي، بالإضافة إلى مقابل مادي نظير تصوير هذه الفيديوهات، خاصةً وأنها قد حققت نسب مشاهدات مرتفعة، وظهرت النتيجة في الطلب الكثير على المنتجات.

وحين نجحت هذه الفيديوهات، وجدت بعض أصحاب المنتجات الأخرى غير الطبية يتصلون بي من أجل عمل مقاطع ترويجية لمنتجاتهم، مثل شركات العطور، والملابس، والساعات، بل وحتى

المطاعم، حينها كنت أنظر إلى الأمر بأن شخصيتي وتميزها هي السبب في تحقيق نسب المشاهدات، وكنت أشعر بسعادة بسبب هذا الأمر، كما أن المقابل المادي كان جيدًا، ولذلك استمريت في عمل هذه المقاطع، وبالفعل حققت نسب مشاهدات بالملايين للمنتجات وارتفعت مبيعاتها كثيرًا جدًا.

كان نجاح المقاطع الترويجية يجعلني أشترط أي شرط أريده في مقابل تصويرها، وكانت شروطي تتم الموافقة عليها، فقد أصبح وجهي مألوفًا لدى الناس ونسب مشاهداتي في ارتفاع دائم، وبرغم أنني لم أكن في حاجة إلى المال، فأنا من عائلة معروفة وغنية، ولكني كنت أحب شعور أن الناس تنتظر ما أقدمه من جديد بشكل شبه أسبوعي، كان هذا الأمر يُشعرني بالسعادة والغرور.

مع الوقت شعرت بأن هناك شيئًا ينقصني، وأردت أن أقوم بشيء جديد، ولأني كنت أحب القراءة، ولكن على فترات متباعدة، كنت أتابع بعض المراجعات التي يقدمها بعض الشباب والمهتمون بقراءة الكتب، وحينها خطرت في بالي فكرة، وهي لماذا لا تكون محور الفيديوهات القادمة عن الكتب.

وبالفعل بدأت في تقديم بعض المراجعات لكتب مشهورة، وحققت نسب مشاهدات لا بأس بها في البداية فقررت الاستمرار فيها، ومع الوقت بدأت النسب ترتفع وتتخطّى من هم قبلي في هذا الأمر، كنت في البداية أقرأ الكتب كاملةً، ثم اكتفيت بالاستماع لبعض الفيديوهات التي تتحدّث عنها، وبقراءة بعض الصفحات في بداية الكتب ووسطها ونهايتها، فليس لديّ وقت لقراءة كتب كاملة، وأنا

أريد أن أصل إلى أكبر قدر من المشاهدات، فكنت أختار بعض الجمل التي قد تعلق في ذهن القارئ وأجعلها هي محور المراجعات التي أقدّمها، ونجحت هذه الطريقة في تحقيق أعلى المشاهدات.

ومع الوقت أصبحت دور النشر تُرسل لي بعض إصداراتها لكي أقدّم مراجعات لها، وقد وفّرت لي هذه الطريقة المال الذي كنت أتكبّده في شراء الكتب، وكذلك وفّر لي هذا الأمر مزيدًا من الشهرة، وقد ارتضيت بهذا.

وبعد فترة قررت أن أكتب أولى رواياتي، وبعد أن انتهيت منها اتصلت بأحد المسؤولين في دار نشر كنت قد تعرّفت عليه، ونصحني أن أجرّب كتابة عمل أدبي. فأسلوبي حسب رأيه يستحق أن يُكتب به عمل أدبي، وحين عملت بنصيحته وفرغت من الرواية هاتفته وشرحت له فكرة الرواية فأعجبته وطلب مني أن أرسلها له، وبالفعل أرسلتها له، وبعد أسبوع اتصل بي وأخبرني على موافقته ودار النشر على طباعة الرواية.

حين صدرت هذه الرواية حققت نسب مبيعات عالية، وطُبع منها أكثر من طبعة، واحتفى بها النُّقّاد والصحفيون، فدفعني هذا لكتابة عمل آخر، وحقّق نجاحًا مثل سابقه، وشعرت أنني الآن في مكانة أعلى؛ فكتبي تُحقّق مبيعات، مثل الكُتّاب الذين سبقوني بسنوات، وكنت أستمر في كتابة القصص والروايات مع تقديم فيديوهات المراجعات الخاصة بالكتب، وهكذا أصبحت من أشهر الأسماء على الساحة الأدبية بعد أن كنت من أشهر الأسماء على الساحة التجارية.

في هذا الوقت سمعنا صوتًا لأول مرة نسمعه، كان ضخمًا وجهوريًا

بعض الشيء، قائلًا:

اذكر خطاياك، وكفاك حكيًا عن مجرى حياتك، فكل ما ذكرته لم يقترب من الخطايا.

فقال (وليد): من أنت؟

فقال (هاني): طبقًا لما حدث معنا أثناء سردنا لحكايتنا وخطايانا يبدو أن هذا الصوت هو صوت روح جدك (جودت الجوادي).

فقال الصوت: أجل أنا (جودت الجوادي)، والآن احكِ خطاياك يا (وليد)!

فقال (وليد): حسنًا يا جدي، حين لمع اسمي وزادت شهرتي، كان من يعرفونني في الماضي يحاولون التقرُّب مني والانتفاع مني من خلال معارفي المرموقين، أو من خلال طلب بعض الأموال مني، كنت أتهرّب منهم حينًا، وأرفض حينًا آخر، ولكني كنت أشعر بلذّة حين أجدهم يطلبون مني مساعدتهم في هذا الأمر، فقد كنت أشعر بتفوقي عليهم، خاصةً من كانوا يعملون معي في بداية حياتي، بعد أن كانوا ينظرون لي باستغراب، وبنظرة تحمل من السخرية الكثير.

كنت أشعر أنني محط إعجاب من الفتيات، خاصةً بعد شهرتي، كنت أحب هذا الشعور جدًا، فهل هناك ما هو أجمل من أن تشعر بأنك محط إعجاب من الجنس الآخر، ولكني كنت أشعر بالغضب حين أرى فتاة تتجاهلني أو تحاول أن تتجاهل وجودي، فكنت في المرة الثانية حين أراها أصطنع عدم رؤيتي لها، عندها أجدها هي من تأتي للسلام عليّ، وعندما كنت أُعجب بفتاة وأشعر أنها تتصنّع

في التعامل معي، أُقسم أني سوف أجعلها تندم على تعاملها معي، وبالفعل أنجح في ذلك، خاصةً حين يُعرِّفني بها أحد الأشخاص، وتعرف أنني فلان صاحب الفيديوهات والكتب المشهورة، فيتبدّل حالها، عندها أتعامل معها بشبه تجاهل لكي أرد لها ما جعلتني أشعر به.

شعرت بمشاعر تجاه بعض الفتيات، ولكني سرعان ما كنت أمل منهُن، وأتعرف على غيرهن، وحين أجد واحدة منهُنّ تبتعد عني أو تتجاهلني، كنت أتصل بها وأؤنبها على تصرفاتها معي، وهكذا يتكرر الأمر كل فترة ومع كل من عرفتهن، فأنا كنت لا أرتضي بأن تتجاهلني فتاة مهما كانت جميلة، وأشعر بأنه يجب عليّ أن أرد لها الأمر مضاعفًا، ولا أتركها تبتعد، فلا أقبل أن تعرف رجلًا غيري.

فقال الصوت: هذا لأنك نرجسي.

فقال (وليد): ربما، ولكني لم أكُن لأقبل بأن تذهب امرأة أردتها أو أحببتها لرجل غيري، كما كنت لا أقبل بأن يحصل غيري على شهرة أكثر مني، ولذلك كنت أقوم بطُرق جديدة كل فترة في الفيديوهات التي أقدمها لكي أظل على القمة.

قال الصوت: أعتقد أنك الآن قد وضّحت لنا خطاياك، فنرجسيتك جعلتك لا ترى غير نفسك ولم تكن تحسب حسابًا لمشاعر غيرك، ومع الأسف مثلي أنا أيضًا، وقد قرأتم في يومياتي بعض الأمور عني، ولكني سأوضحها لكم.

كنت مثلك أريد أن أكون الرجل الوحيد في حياة أي امرأة أعرفها، خاصةً من أشعر تجاهها بمشاعر، وحتى لو كانت كل الدلائل تُثبت أن

علاقتنا لا يمكن أن يُكتب لها النجاح، كنت لا أتركها لحال سبيلها، فلم أكُن أتقبّل فكرة أن تذهب امرأة كنت أعرفها لرجل آخر، ومن هؤلاء (نجلاء الربيعي) مالكة القصر قبلي، فبعد أن رفضتني لأنها كانت تتسلّى بقلوب المحبين، ولم تكُن صادقة في مشاعرها، عندما علمت بأنها عرضت قصرها هذا للبيع في مزاد، أردت أن أرد لها الصاع، وأشتري قصرها كنوع من الانتصار للذات، وكذلك لأنّي أولى من الغريب. وقد أخبرتها بهذا كما قرأتم في اليوميات، فشيءٌ منها قد يريح قلبي.

وقد حاولت نسيانها بالتعرّف على نساء كثيرات؛ لأنني لم أتقبّل فكرة رفض (نبيلة) لي، حتى بعد أن عرفت من يومياتها سبب ما كانت تفعله، ولكن كانت رائحتها التي تعُم أرجاء القصر تحاصرني، خاصةً في الغرفة التي كانت تنام فيها، وكانت تُشعرني تلك الرائحة بالرغم من حبي لها، إلى الرغبة في تبديدها بعطور نساء أُخريات ممن يأتين لزيارتي في القصر، لعل رائحتهن المختلفة المميزة تجعلني أنساها، ولكن هذا لم يحدث.

وبسبب هذا الأمر، وبسبب شخصيتي التي كانت تعشق النساء، كنت متعدد العلاقات، وأتعرّف دائمًا على النساء، وعدتُ بعضهن بالزواج، وبالطبع كنت غير صادق في وعودي، وحين أشعر أن منهُنّ من سوف تبتعد عني كنت أتقرّب منها من جديد بالهدايا والوعود، بل والخطبة، ثم أهملهن حتى يبتعدن عني، وجراء هذا الأمر، تزوج بعضهن من رجال، وتحولت حياتهن إلى جحيم، فبعضهن مُتن من الضرب من أزواجهن، وبعضهن انتحرن لأنهُنّ لم يتمكّنّ من العيش دون حب، أو من دون زوج متفهّم لحالتهن النفسية التي قد تسببتُ

لهُنّ بها، وبالطبع لم تجرؤ منهُنّ امرأة على الاعتراف بمعرفتها بي، سواء ممن خطبتهن أو لم أخطبهن، ولذلك كنت أسمع أصواتهن في جنبات القصر، وهن يتوعدنني بالموت أو بالانتحار.

وفي يوم كنت أشعر بالاختناق، فوقفت في شرفة غرفتي في الطابق الثاني، وكان الجو شديد الرياح، ورأيت طيف إحدى النساء اللاتي كنت أعرفهن، وهي تصيح: لن تعيش مرتاح البال تأكّد من هذا! وقلت لها: ابتعدي عني، وحاولتُ أن أبعد طيفها عني، ومع محاولاتي هذه ومع شدة الرياح سقطتُ من شرفة الغرفة فتوفيت على الفور، وقبل وفاتي كنت قد أوصيت بأن ينتقل هذا القصر لابن خالتي (رفعت سعيد البنهاوي)، وهو ما حدث بعد وفاتي، ولكن روحي ظلت حبيسة هذا القصر؛ لأنني قبل موتي لم أذهب لطلب الصفح من النساء اللاتي بقين على قيد الحياة، أو من ذوي مَن فُتن منهُنّ، وهذا جزاء من لا يسعى للصفح في الوقت المناسب.

سكت الصوت، وخيّم الصمت على المكان، فمع سكوت الصوت تكون الروح التي تحكي حكاياتها بشكل أكثر تفصيلًا مما ذكرته في يومياتها قد انتهت من الحديث، وتفسح المجال لرفيق من الرفقاء ليحكي حكايته وخطاياه، وروح أخرى تحكي خطاياها أيضًا.

-١٤-

مرّت دقائق من الصمت، ثم بعد ذلك تحرّرت الألسنة من قيد الصمت، فنطق (رامي) قائلًا:

أظن أن بعدما سمعناه، لم يغد هناك شيء نستغرب سماعه!

فقال (حامد): معك حق، فيبدو أننا نستحق بالفعل التواجد هنا.

فقال (هاني): يبدو أن الطيور على أشكالها تقع، فكلٌ منا مُذنب في حق نفسه، وفي حق الناس.

فقال (سامي): الآن لم يتبقَّ منا إلا (نبيلة).

فأومأت (نبيلة) برأسها قائلة: أجل، أنا فقط، وسوف أقص عليكم حكايتي.

استوَت (نبيلة) في جلستها على مقعدها الذي كانت تجلس عليه في وضعية أشبه بوضعيتها المعروفة أثناء تقديم برنامجها التلفزيوني الخاص بالنصائح وحل المشكلات، وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت:

أنا (نبيلة محمد صالح المتولي) أو كما تعرفونني (نبيلة المتولي) عمري خمسة وثلاثون عامًا، منفصلة منذ أربعة أعوام، كنت متزوجة من شخص كان بيننا قصة حب منذ أيام الجامعة، وكانت كل زميلاتي يحسدنني على قصة حبي وعلى زواجي، عشت في بداية حياتي معه سعيدة إلى أن تسرّبت الخلافات بيننا كتسرُّب مياه الأمطار على سقف منزل خشبي في ليلة ممطرة، بدأت الخلافات

بسيطة حتى تفاقمت مع الأيام، كلٌ منا برغم حبه للآخر لم يستطع أن يتحمّل تصرفات الآخر التي لم تكُن فيه قبل الزواج، ولكي أكون صادقة، كانت أغلب الخلافات بسببي، فكنت أتشاجر معه على أتفه الأمور، والتي لم تكُن تستدعي أن يحدث بسببها شجار، لم أكُن أعلم حقًا لماذا أفعل هذا مع شخص يحبني وأحبه، ولكن مع الأسف هذا ما كان يحدث.

ومع الأسف، حدث الانفصال، فلم يعُد كلٌ منا يتحمل تصرفات الآخر. وحتى لا يتفاقم الوضع قررنا الانفصال حفاظًا على الأولاد، منذ ذلك الوقت وجدت أن حياتي أصبحت فارغة، فحاولت أن أملأها بلقاء الأصدقاء في النادي بشكل يومي على الرغم من أنني لم أكُن أحب اللقاءات كثيرًا أثناء فترة زواجي، فتغيرت الأحوال، وأصبح النادي ولقاء الصديقات والأصدقاء المشتركين شيئًا أساسيًا في يومي، وبناءً على هذا زاد عدد معارفي، كنت أستمع إليهم وأنصح صديقاتي حين يطلبن مني النصيحة، كنت أشعر بسعادة غامرة تغمرني حين أجد أن رأيي يعجبهن، ومع الوقت أصبحت أشعر بالفخر والثقة بأنني حلالة العقد والمشاكل، حتى نصحني بعضهم بأن أقدّم فيديوهات محتواها النصح وحل مشكلات من يرسل مشاكله، وبالفعل قُمت بالعمل بهذه النصيحة.

مع الوقت صارت مشاهدات الفيديوهات التي أقوم بها تصل إلى ملايين، ويشاركها عدد كبير من الناس على صفحاتهم، فأصبح من يقابلني يطلب التقاط صورة معي؛ لأنه من متابعي صفحتي، وما أقدمه من فيديوهات، حتى أصبحت من أشهر مقدمي فيديوهات النصائح على مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي يوم كنت جالسة في النادي، تقدّم مني شخص لا أعرفه، فعرّف بنفسه، أنه صاحب قناة تلفزيونية، ويتابع صفحتي ويعجبه ما أقدّمه، وعرض عليّ فكرة تقديم برنامج على قناته التلفزيونية بمقابل مادي، فكرتُ قليلًا ثم وافقت، وبالفعل قدّمت الموسم الأول من البرنامج ونجح نجاحًا مُبهرًا، جعل القناة تتعاقد معي على موسم ثانٍ، وتوالت النجاحات، وزادت شهرتي. كنت أشعر بشعور لا أستطيع وصفه، عندما أجد المعجبين بي وببرنامجي وبما أقدّمه، ولكني كنت أشعر أيضًا بالغضب حين يهاجمني بعضهم، ويقولون إنني أتسبب في خراب بعض البيوت بسبب ما أقدّمه، لكني لم أكُن ألتفت لمثل هذه التعليقات التي أُعدّها سلبية من أشخاص سلبيين.

وبرغم الشهرة والنجاح كنت أشعر بالغيرة من صديقاتي أو معارف لي سعداء في حياتهم، كنت أحسدهم على حياتهم التي هي أفضل حالًا من حياتي، وعندما كُنّ يطلبن مني نصائح كنت أعتبرها فرصة وأتت إليّ فكنت أنصحهن بألّا يصفتنَ على أي تجاوز في حقهِنّ من طرف أزواجهن، وكُنّ يستجبن لي، فتحولت حياة بعضهنّ من السعادة إلى التعاسة.

كانت شهرتي سببًا لتعرّفي على عدد من المشاهير، ووقع بعضهم في غرامي، وكنت أعتبر أن هذا الأمر شيء مهم بالنسبة لي، وكنت أشعر بالسعادة لأن من كنت في يوم من الأيام أفرح لمجرد رؤية فيلم لهم أو حضور حفلة لهم أصبحوا الآن يطلبون الوداد والقرب مني، والحب.

حين كنت أشعر بحب بعض الرجال لي كنت أبتعد عنهم مخافة أن

يتكرر معي ما حدث في تجربتي الأولى في الزواج، ربما يكون هذا هو السبب، وربما السبب الحقيقي هو أنني كنت أريد الانتقام من جنس الرجال؛ لأنني كنت أشعر أن طليقي هو السبب في فقداني معنى الحب بعدما مررت به معه.

وبرغم القَسَم الذي كان يقسمه بعض الرجال لي على حبهم ورغبتهم الصادقة في الارتباط بي، وبرغم كل الأفعال التي تدل على هذا، لم أكُن أهتم بكل هذا، بل كنت أتهرّب منهم بحجة عدم وجود وقت لانشغالي بتصوير البرنامج، وعمل بث يومي على صفحاتي، بل وكتابي الأول الذي كنت أقوم بالتحضير له، كل هذه كانت مجرد حجج حتى أهرب منهم، فقد كان لديّ شعور ورغبة ملحة في أن أهرب من أي رجل، أو من أي اهتمام أجده من أي رجل.

وحتى لا تقولوا عني أنني أتهرّب من الخطايا التي قُمت بها، على الرغم من أنها تكاد تكون واضحة فيما ذكرته، سوف أذكر لكم ما قمت به في حق بعض الناس.

فقال صوت أنثوي لم يُسمع من قبل: أحسنتِ يا (نبيلة)، إن الاعتراف أفضل من التهرُّب.

فتساءلت (نبيلة) قائلة: من التي تتحدث؟

فأجابها الصوت: أنا (نبيلة البنهاوي)، جدتك يا حفيدتي.

فقالت (نبيلة) بصوت حزين: ما أشبه صوتك بصوت أمي، سوف أكمل حكايتي، فربما هذا يساعدنا على تخطّي ما نحن فيه.

وأكملت حديثها وقالت:

كان ممن وقع في غرامي شاب كنت قد تعرّفت عليه في النادي قبل أن أقدّم البرنامج التلفزيوني، كان يقف إلى جانبي دائمًا، يشجعني وينصحني ويهتم بي، كنت حين أشعر بأنني لا أقدر على إيجاد حل لمشكلة في حياتي، كنت أتصل به وأحكي له أو أطلب مقابلته، فيستمع إليّ وينصحني، فلم يبخل عليّ يومًا بوقته أو بنصحه، وكنت أشعر من نظراته لي بحبه وتردده في الإفصاح عما بداخل قلبه من مشاعر؛ خوفًا من خسارتي، وظل على حاله هذه حتى بدأتُ الموسم الأول من برنامجي، وكان يشجعني ويدعمني، وبعد انتهاء الموسم الأول أفصح عن رغبته في الارتباط بي في اتصال هاتفي، كنت سعيدة بأنه أخيرًا اعترف بحبه، ولكني لم أُجبه حينها، وأخبرته أنني مشغولة وقتها، وسوف أتصل به في المساء.

منذ أن أخبرني بحبه ورغبته في الارتباط بي كنت أشعر بحيرة شديدة، ولكني قررتُ أن أخبره أنني لا أستطيع الارتباط به، خاصةً وأنني مُقدمة على التحضير لموسم جديد من برنامجي، كانت هذه حجة رائعة في اعتقادي، ولكن حين أخبرته بها قال إنه سوف ينتظر حتى أنتهي من البرنامج. فقد انتظرني عامَين، حين سمعت هذا منه صحت فيه، وأخبرته أنني لا أريد الارتباط به، وأنه مجرد صديق فقط، وليس معنى أنني أحكي له كل أموري أنه يصلح أن يكون زوجي، شعرت من نظراته بحزن شديد بسبب ما تفوّهت به، ولم ينبس ببنت شفة وقتها وقام مغادرًا، ومن وقتها لم يتصل بي، ولم أتصل به.

علمتُ بعد ذلك من صديق مشترك، أنه لم يحاول الاتصال بي حتى لا يُشعرني بأنه يتطفل عليّ ويطاردني، وأنني إذا احتجته في

أي يوم سوف أجده أمامي، فهو لن يغلق بابه في وجهي، فالمحب مهما حدث لا ينسى من أحب، ومن كان له مكانة في القلب لا تتغير مكانته مهما حدث، ولكن كان ردّي وقتها أن خيرًا ما فعله بعدم التواصل معي، فأنا لا أريده في حياتي بعد ذلك، ومع الأسف منذ هذا الوقت لم يرتبط بأيّة فتاة، وتغيرت أحواله حتى أصبح نادر الذهاب إلى النادي، وأصبحت حياته مقتصرة على العمل فقط وفقد كثيرًا من وزنه، وكان هو أول الخطايا التي فعلتها، فقد تسببت له في صدمة نفسية، على الرغم من أنني لم أرَ منه أي شر، أو أي موقف واحد سيء.

وثاني الخطايا، تعرّفت على زوج صديقة لي، كان يستشيرني في مشاكله مع صديقتي، ويطلب مني أن أتوسّط في حل المشاكل بينهما، ومع الأسف كنت أتحدث معه بنصائح تخصّه هو وكانت تزيد من غضبه منها، وأتحدث معها بنصائح تخصها هي، وكانت تزيد من غضبها منه، حتى تفاقمت الأوضاع بينهما وحدث الطلاق، وبالطبع كنت أنا السبب؛ لأنني لم أكُن أبحث عن حل لما بينهما من خلافات، بل كنت أزيد سكب الزيت على النار حتى صارت بركانًا أتى على حياتهما تمامًا.

وثالث الخطايا، أنني كنت أتلذذ بشعور العذاب الذي أشعر به من يرغبون في الارتباط بي، كنت أظهر لهم قبولي لمشاعرهم وفكرة الارتباط بهم، وأتهرّب من اتصالاتهم وأختفي تمامًا من حياتهم، ولم أكُن أشعر بأي تأنيب ضمير على هذا الأمر في وقتها، ولكن مع مرور الوقت كنت أشعر بوضاعة ما كنت أفعله، فأن تكون سببًا في ألم إنسان هذا يدل على قلة الضمير وقسوة القلب.

فقال صوت جدتها: صدقًا ما قلتِ يا بنتي، إن من يتسبّب في ألم إنسان ولا يرمي بالًا لهذا الأمر ولا يحاول إصلاح ما فعله، هو شخص فاقد الإنسانية، ومع الأسف كنت أنا منهم كما قرأتم في يومياتي، فمع معرفتي بصديقتي أحلام وأصدقائها وتغيُّر حياتي وشخصيتي، تحولت إلى إنسانة معدومة القلب، أشعر برغبة في تعذيب قلوب من يقعون في حبي، ولكني مع الأسف وقعت في شر أعمالي، فمن تسببت لهم بالأسى والحزن، منهم من انتحر ومن شجن مؤبدًا، ومن انقطعت أخباره؛ وكل هذا بسببي.

اختلطت أصوات دموع الجدة بدموع الحفيدة؛ فكلتاهما تشعر بأنها قد أساءت إلى غيرها وتسببت في إفساد حياة الناس.

وخيّم الصمت على المكان، فشعور الندم كفيل بأن يجعل المرء يصمت، ومع الصمت تتوارد الأحداث في الذهن، وتشعر النفس بما اقترفت من أفعال، ومن يسمع ما سبق يشعر بالصدمة والأسى والحزن.

-١٥-

بعدما سرد الرفاق الثمانية قصصهم وخطاياهم، وبعدما أفصحت الأرواح الثمانية عن فحوى ما كتبوه في يومياتهم، أصبح الأمر واضحًا للجميع، وأدرك كلٌ من الكتّاب الثمانية سبب اجتماعهم في القصر، الذي كان يبدو في بداية الأمر وكأنه كان وليد الصدفة، ولكن الآن اتضح أن السبب شيءٌ كان يدفعهم للتواجد في هذا القصر، ألا وهو أرواح أجدادهم الحبيسة فيه بسبب ما فعلوه في حياتهم.

وبعد دقائق الصمت التي مرت بعد أن انتهت آخر القصص والتي سردتها (نبيلة)، قطع الصمت صوت روح (شاكر شلبي) المالك الأول للقصر، صاحب الصوت المألوف منذ بداية الأحداث الغريبة التي حدثت في هذه الليلة، فقال:

الآن أصبح كلٌ منكم يُدرك سبب تواجده في القصر، وأصبحتم أنتم ونحن على علم بما ارتكبنا من خطايا في حق الآخرين، لقد أصبحنا أشباحًا تسكُن المكان الذي شهد على خطايانا التي قادتنا إلى سوء المصير، ولأننا لم نندم، ولم نأخذ العفو والصفح ممن أذنبنا في حقهم قبل مماتنا، صرنا إلى ما نحن فيه، ولكن أمامكم فرصة لم تُتَح لنا، أو بمعنى أدق فرصة لم نتداركها عندما كنا أحياء، وقبل أن ينقطع حبل الأجل، عليكم أن تستغلوها حتى لا تصير حياتكم مثل حياتنا.

وقال صوت روح (فريد الفادي): لقد كنّا ساخطين على بعضنا لأن كلًا منا كان يرى الآخر هو السبب فيما نحن فيه بعد أن أصبح القصر ملكًا لكلٍ منا، ولكن مع مرور الوقت بعد أن واجهنا أنفسنا بأفعالنا التي كانت هي السبب الحقيقي، قررنا أن نتعايش مع وضعنا إلى أن

يأتي اليوم الذي ترتاح فيه أرواحنا، وكما قال لكم (شاكر) أمامكم فرصة للابتعاد عن المصير الذي حدث لنا.

فسأله (رامي): وما هذه الفرصة؟ لقد ذكرنا خطايانا، ألا يكفي هذا؟!

فأجابه صوت روح (شاكر): إن ذكر الخطايا هي الخطوة الأولى للتصحيح، ولكن العهد بألّا تعودوا لمثل هذه التصرفات هي الخطوة الثانية، وطلب الصفح وتعويض من أخطأتم في حقهم الخطوة الثالثة، وتغيير حياتكم للأفضل هي الخطوة الرابعة.

فقال (حامد): أليست هذه أشياء كثيرة لنقوم بها؟

فأجابه صوت روح (مصطفى السلحدار) بنبرة صوت غاضبة: ألم تكُن أفعالك وأفعال رفاقك أكثر من هذه الأمور، ألم يكُن الظلم والقهر وسرقة مجهود الآخرين وما اقترفته أيديكم أكثر من هذه الخطوات، أم أنك تريد أن تنجو من سوء المصير من غير أن تتعب!

فقال (حامد): لم أقصد ذلك، ولكن ما حدث معنا الليلة ليس بالأمر الهيِّن.

فقال الصوت: لكنه شيء لا يُذكر بالمقارنة بما حدث معنا، وبالمقارنة بأرواحنا الحبيسة منذ سنوات طويلة تنتظر الخلاص، أمامكم فرصة للتغيير فلا تفلتوها من أيديكم حتى لا تندموا طوال حياتكم.

فقالت (نبيلة): إن الأرواح معها حق في كل كلمة ذكروها، وعلينا الآن أن نواجه أنفسنا، ونختار إما الاستمرار على نفس المنوال الذي

نحن فيه، والعبث بحياة الآخرين واستغلالهم، أو أن نتغيّر للأفضل، ونكون أشخاصًا أسوياء.

فقال (رامي): أتفق معك يا (نبيلة) في كل كلمة ذكرتِها، لا عيب في أن نواجه أنفسنا، ونعترف كما اعترفنا بخطايانا، ولا عيب بأن نُصلح ما بنا من مشكلات نفسية؛ فالإنسان حين يمرض بمرض عضوي يذهب للطبيب، وكذلك من لديه مشكلة نفسية لا عيب في أن يذهب لطبيب نفسي يساعده على تخطّي ما به من متاعب ومشكلات.

وقال (هاني): معك حق، علينا أن نفعل ما ذكرته لنا الأرواح، وما ذكرتموه، فأنا متأكد أننا إذا فعلنا ذلك سوف نصبح أفضل حالًا مما نحن فيه، وسوف ننقذ أنفسنا من سوء المصير، بل وسوف ننقذ أولادنا من أن يصبحوا مثلنا.

فصاح البقية بصوتٍ واحد: معك حق.

وفي هذا الوقت قالت روح (نجلاء الربيعي): إنني سعيدة بقراركم هذا، وإذا فعلتموه وصدقت نيّاتكم، فسوف تجدون نتيجته التي ستُسعدكم وتُسعد من حولكم.

وقال صوت روح (جودت الجوادي): الآن وبعد أن اتخذتم قراركم بتغيير حياتكم ورد حقوق من أذنبتم في حقهم، نطلب منكم أمرًا مهمًا لكم ولنا، عليكم إيجاد من أذنبنا في حقهم قبل موتنا، وسوف تجدون في الغرفة الموجودة في الطابق الثاني المقابلة للدرَج أسماء هؤلاء، ليذهب كل واحدٍ منكم إلى من أخطأ جده في حقهم، ويطلب الصفح منهم لترتاح أرواحنا.

وقالت روح (نبيلة البنهاوي): وبعد أن تفعلوا هذا عليكم تنفيذ ما وعدتم بفعله، لأن هذا هو الخلاص الكبير لكم ولنا.

وقال (رامي): نعدكم بأننا سوف نفعل كل ما ذكرتموه لنا، فدماؤنا هي دماؤكم، وما يسوؤكم يسوؤنا.

وفي أثناء الحديث بين الأرواح والأحفاد صعد (سامي) للغرفة التي بها الأوراق التي بها أسماء أصحاب الحقوق وأحضرها، ثم هبط إلى الطابق السفلي حيث يتواجد الرفاق، وبعد أن أصبح بينهم قال:

هذه هي الأوراق التي ذكرها السيد (جودت الجوادي)، وبها عناوين الأشخاص وأسماؤهم الكاملة، وسوف أبحث عنهم عن طريق بعض معارفي.

وقال (رامي): وسوف أساعدك في هذا الأمر، فمصيرنا جميعًا أصبح واحدًا منذ هذه الليلة.

وقال صوت روح (شاكر شلبي): الآن وبعدما لمسنا منكم النية الصادقة، والعزم الأكيد على التغيير سنفتح لكم الباب، ولكن لنا طلبًا أخيرًا.

فقال (رامي): وما هو يا جدي؟

فأجابه: حين تفعلون ما طلبناه منكم نريد أن تحضروا جميعًا إلى هنا، لأنه إذا تم الأمر كما نويتم، فمعناه أن أرواحنا ستتحرر من هذا القصر وترتاح في قبرها، ولن تسمعوا أصواتنا بعد ذلك، وحينها نريد أن نودعكم قبل أن نرحل، ولكن كل هذا موقوف على صدق وعدكم لنا.

فقال (حامد): اطمئنوا، فمن اليوم سنكون أناسًا آخرين.

فقال صوت (مصطفى السلحدار): نتمنى هذا يا حفيدي بصدق.

في هذه الأثناء رجعت الأنوار إلى القصر، وأنير البهو مثلما كان في بداية الليلة، منيرًا جميلًا بكل ما فيه من تحف ومظاهر الجمال، وفُتحت البوابة الحديدية للقصر، وحينها كانت الساعة الخامسة فجرًا، ثم قال صوت (شاكر شلبي):

والآن حان وقت الرحيل، لا تنسوا متعلقاتكم، ولا تخبروا أي إنسان عمّا حدث معكم الليلة، فالأمر حين يخرج من النفس وتتناقله الألسنة لا تأمن عُقباه، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان حتى يحدث المراد، وإذا سألكم أحد عن سبب اختفائكم طوال الليل، فأخبروهم أنكم بعد الحفل اجتمعتم في مكان ما للاحتفال بنجاح الحفل، وبسبب شدة الأمطار قررتم أن تمكثوا إلى أن تهدأ الأمطار وتتحسّن الأجواء، وأغلقوا أنوار القصر والباب قبل أن تغادروا!

فقال (رامي): سوف نفعل هذا، وعن نفسي أشكركم على كل شيء، في بداية الليلة كنت خائفًا وغاضبًا ومستاءً، ولكن مع مرور الوقت وحديثكم معنا تبدّل الحال إلى شعور مختلف، بل مشاعر مختلطة، ولكن أهمها الامتنان لكم، فربما لو لم يحدث ما حدث الليلة، لاستمرت حياتنا على نفس المنوال الذي كانت عليه قبل الآن.

كان ما قاله (رامي) هو نفسه شعور الرفاق جميعًا، وبعد أن انتهوا من أخذ متعلقاتهم أغلقوا الأنوار وباب القصر، واتجهوا نحو حديقة القصر حيث توجد سياراتهم، وكانت الأمطار قد توقفت وتبدلت الرياح الهوجاء إلى نسمات لطيفة، وشعروا بعد أن خرجوا من القصر

بأن أرواحهم وُلدت من جديد، فقد كانت بداخلهم عزيمة جديدة تحثُّهم على فعل ما وعدوا بفعله، وركب كلٌّ منهم سيارته، وأمام عينه شيء واحد، وهو تغيير حياتهم للأفضل، والوفاء بالعهد.

-١٦-

مرّت ثلاثة أشهر على ما حدث في القصر، لم يلتقِ الكتّاب العمانية خلالها أبدًا، والأغرب من ذلك لم يظهر واحد منهم في بث مباشر على صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي، واستغرب جمهورهم هذا الأمر، فقد ظن الجميع أن بعد نجاح حفل التوقيع الأخير سوف يظهرون كما هي عادتهم، بل أكثر من المعتاد بسبب نجاحهم، ولكن الذي حدث عكس هذا تمامًا، فعلى مدار الثلاثة أشهر، اكتفى كلٌّ منهم بمنشورات معدودة، إما للتهنئة بمناسبة عامة أو منشور يحمل معنى يحثُّ الناس على تغيير حياتهم للأفضل.

أثار هذا الأمر حفيظة المتابعين لهم، وذهب بعضهم إلى أن كل واحد منهم يُحضِّر عملًا جديدًا، ويحتاج إلى تركيز تام، أو ربما يقضي عطلة طويلة لاسترجاع نشاطه، إلى آخر التكهُّنات التي كان يكتبها الناس في التعليقات على المنشورات التي تتساءل أين اختفوا.

ولكن الحقيقة لم تكُن مثل هذه التخمينات، فقد قرر كل واحد منهم أن ينفِّذ ما وعد به في الليلة التي واجه نفسه بخطاياه، فبعد خروجهم من القصر، كان هناك حديث واحد دار مع نفس كلٍّ منهم، وكان فحواه:

ألم يأنِ لك أن تفيق من غيبوبتك؟ ألم يحِن الوقت لكي تُصلح كل ما اقترفته يدك من خطايا وأخطاء في حق الآخرين؟ إلى متى ستظل على الحال الذي أنت فيه؟ هل تريد أن تكون نهايتك مثل جدك؟ هل تريد أن تُضيع من يدك الفرصة لتغيير حياتك للأفضل، أم

تريد أن تظل روحك غارقة في بحر الضياع، في بحر الظلم، في بحر الخطايا، وينتهي الحال بها روح مغضوب عليها، ملعونة إلى الأبد!

وبعد هذا الحوار النفسي قرر كلٌ منهم أن يبدأ في تغيير حياته، فذهبوا إلى المعالجين النفسيين، فالطب النفسي مثل كل فروع الطب يحتاجه الإنسان، ولأن ما اقترفته أيديهم كان يحتاج في البداية إلى علاج يساعدهم على مواجهة أنفسهم بما لديهم من أخطاء ومشاكل نفسية، ثم العلاج منها، خاصةً أن بداخلهم يقينًا بأنهم مخطئون فيما فعلوا، وأولى مراحل العلاج أن يعترف الإنسان بأخطائه، وبأنه يحتاج إلى العلاج مما هو فيه، فالنفس إذا لم تجد من ينبّهها إلى أخطائها استمرت فيما هي فيه، فتابعوا مع الأطباء النفسيين، حتى تحسنت حالتهم، خاصةً مع انتظامهم في صلاتهم وعلاقتهم بالخالق؛ فالروح تحتاج إلى خالقها لكي تأنس وتطمئن، وباب الله لا يُغلق أبدًا في وجه كل من يلجأ إليه، فالله أقرب إلينا من حبل الوريد.

مرّت فترة التأهيل النفسي على أكمل وجه، ثم بعد ذلك بدأت مرحلة البحث عمّن أخطأوا في حقهم ليطلبوا منهم الصفح، ولم تكُن رحلة البحث عنهم سهلة، فقد تغيرت عناوين معظمهم وأرقامهم؛ لمرور وقت طويل على الأحداث التي حدثت، ولكن لأن رغبتهم كانت صادقة فقد استطاعوا الوصول إليهم.

في البداية كان الناس غير مصدقين أن من أذنب في حقهم بحث عنهم، وتكبّد عناء البحث والسفر للوصول إليهم، وظنوا في البداية أنها مجرد مزحة أو مادة لمحتوى يريدون تقديمه، ولكن حين

لمسوا الصدق في كلامهم ورغبتهم في تعويضهم المادي عن سرقة أفكارهم ومجهودهم تغيرت وجهة نظرهم، فمنهم من رفض العِوض والمال، واكتفى بقبول الاعتذار وسامحوهم، ومنهم من قبِل المال وسامحوهم، ومن لم يقبل بالمال كتعويض كان له نصيب في تقديم عمل مشترك كنوع من التقدير لسماحة قلبه، وكذلك لمساعدته على الظهور على الساحة.

أما من أخطأوا في حق قلوبهم، فهذا كان أخطر أمرًا من الأفكار والمال، فالقلوب حين تُكسر لا تجبرها كل كنوز الأرض، فمثلما يفرح القلب بكلمة صادقة تُقال من القلب، وتصل إلى القلب، يحزن وينكسر بكلمة يحسبها القائل صغيرة، ولكنها تورث ألمًا لا يمحيه الزمن، ولذلك كانت المهمة صعبة أمامهم، ولم يكُن هناك بُد أمامهم إلا أن يحكوا ما حدث لهم بشكل مختصر وغير واضح؛ لأنهم قد وعدوا أنهم لن يحكوا لأحد ما حدث لهم في القصر، لكنهم أخبروهم بأنهم قد شاهدوا حلمًا، وقد فسّره أحد كبار المفسرين بأنه يجب الحصول على صفح من أخطأوا في حقهم وأن يغيروا من حياتهم، وهذا ما فعلوه، ولذلك هم الآن بين أيديهم ليطلبوا الصفح منهم.

ولأن من كُسر قلبه يعلم جيدًا العذاب الذي قد يعيشه الإنسان جراء الأفكار التي تتبع الأحداث غير المفهومة والقاسية، حين لمسوا نبرة الندم في أصواتهم ودموع الحسرة على ما فعلوه معهم ورأوا بأعينهم الأشخاص الذين كانوا لا يبالون بمشاعر أحد على غير ما كانوا عليه، قبلوا الصفح عنهم.

وقد خفق القلب بصدق هذه المرة، وقد حالف الحظ أربعة منهم،

(حامد السلحدار) و(وليد مجدي) فخطب كلٌ منهما واحدة كان قد أخطأ في حق قلبها في الماضي، بعد أن لمس جمال روحها، ونفس الأمر حدث مع (نبيلة المتولي) و(نجلاء فوزي).

أما باقي الرفاق، فقد تحسّنت حياتهم الزوجية عن ذي قبل وتغيرت تمامًا، فقد أصبحوا آباءً محبّين لأبنائهم بعد أن كانت حياتهم الشخصية هي رقم واحد في ترتيب الأولويات، بل وأصبحوا يساعدون زوجاتهم في المنزل وغيرها من شؤون الحياة، وأصبحوا أكثر اهتمامًا بزوجاتهم وأكثر رومانسية.

وبعد أن تحسّنت الأوضاع لدى الرفاق العمانية قرروا أن يفعلوا الخطوة الأخيرة، وهي البحث عمّن بقي من ذوي الحقوق الذين أوصاهم أجدادهم أن يجدوهم ويطلبوا منهم الصفح لأجدادهم، وبالفعل بدأ كلٌ منهم في رحلة البحث، واستعانوا ببعض معارفهم في هيئة السجلات حتى وصلوا إلى الأسماء التي وجدوها في القصر، وطلبوا منهم الصفح عن أجدادهم؛ لأن حقوق العباد لا تنتهي حتى بموت الإنسان إلا أن يعفو صاحب الحق، وكان رد ذوي الحقوق أن أجدادهم قد ماتوا، بل وحتى آباؤهم (أبناء أولئك الأجداد) قد توفوا، وهم جميعًا مسامحون؛ فمجيؤهم لطلب الصفح في العرف والدين يجعلهم يتقبلون الصفح، وربما الأمر الذي قد يصل لأجدادهم ليُحدث الصفح هو الذهاب لقبورهم وقراءة الفاتحة والدعاء لهم، وعمل صدقة جارية لهم ليصل ثوابها إليهم، وبالفعل قام كلٌ منهم بفعل هذا الأمر، فهو أقل ما يمكن أن يفعلوه لهم.

-١٧-

وفي اليوم الأخير، الذي قرر فيه كلٌ منهم عمل الصدقة الجارية على أرواح من أخطأ أجدادهم في حقهم، اتصلوا جميعًا ببعضهم مكالمة جماعية، وفرحوا حين وجدوا أن كلًا منهم قد قرر عمل هذا الأمر، وأنهم أيضًا قد فعلوا الأمر ذاته باسم جدودهم لكي يترحّم الناس عليهم، وأثناء مكالمتهم، اتفقوا على أن ينفّذوا آخر شيء وعدوا به، وهو الذهاب سويًا إلى القصر.

ذهب الرفاق الثمانية إلى القصر وتجمّعوا أمام باب القصر ودخلوا سويًا، وكان المفتاح مع (رامي شلبي) ففتح بوابة القصر ودلف الجميع إليه، وما إن دخلوا حتى قال (هاني السعدي) وهو يضحك:

ها نحن ندخل القصر مرة أخرى، هل سوف يحدث معنا مثلما حدث في المرة السابقة، أم أن جدودنا سوف يستقبلوننا بترحاب!

فأجابه صوت جده (وحيد السعدي): أرى أنك لا تزال محافظًا على أسلوبك الساخر يا حفيدي، اطمئن لن يحدث مثلما حدث في المرة السابقة.

وقال صوت (شاكر شلبي باشا): أهلًا بكم يا أبنائي، لقد كنا في انتظاركم، وبرغم طول المدة فإننا كنا على يقين بأنكم سوف ترجعون إلينا كما وعدتمونا.

فقال (رامي): حين خرجنا من هنا المرة السابقة كنا قد عزمنا على تغيير حياتنا، وتنفيذ ما وعدناكم به، وقد نفّذ كلٌ منا ما وعد به.

فقال صوت (مصطفى السلحدار باشا): خيرًا فعلتم يا أبنائي، حين

ينجح المرء في تغيير حياته للأفضل يكون قد غنم دنياه وآخرته.

وقال صوت (فريد الفادي باشا): لقد شعرنا بما فعلتم، فقد تغيّرت أوضاعنا وذهب عنّا الثقل الذي كنا نشعر به، وأمور أخرى لا نريد أن نشغلكم بها، وشعرنا بخفة روحية لم نعهدها من قبل، وعلمنا من كل هذا أنكم قد نفّذتم ما وعدتمونا به.

فأجابه (نادر جابر): لقد شعرنا نحن أيضًا بتحرّر أرواحنا من القيود التي كانت تقيّدها، فالغرور والتكبّر، وغيرها من الصفات السيئة التي كنا نشعر بها قبل تغيّرنا، كانت تُثقل أرواحنا وتجعلنا نشعر بغمٍّ وهمٍّ، مهما كنا نربح من أموال ومهما زادت شهرتنا.

فقال صوت (وحيد السعدي): حين تتحرّر النفس من كل ما يقيّدها من صفات دنيوية تشعر النفس بنقاء وصفاء روحي، وهذا ما تشعرون به الآن.

فقالت (نبيلة المتولي): معك حق، لقد شعرت بعد التغيّر الذي حدث لي وبعد مساعدة الناس دون رياء أنني روح مُحلّقة في فضاء الكون الفسيح، بعد أن كانت روحي مقيدة بأشياء تافهة لا معنى لها.

فأجابها صوت (نبيلة البنهاوي): وصفك بليغ يا حفيدتي، هكذا الروح حين تفعل الخير، وتُحسِن للغير.

وقالت (نجلاء فوزي): لقد قُمنا بطلب الصفح من ذوي مَن أخطأتم في حقهم وقد قبلوا الصفح، وذهبنا لقراءة الفاتحة والدعاء لهم، وقُمنا بعمل صدقات جارية على أرواحهم وأرواحكم، لكي يترحّم الجميع عليكم.

فقال لها صوت (نجلاء هانم الربيعي): خيرًا فعلتم، إن صنيعكم هذا هو ما حرّرنا مما نعاني منه منذ سنوات طويلة.

وقال صوت (سعيد السهيلي): لا نجد من كلمات الشكر ما يُسعفنا لشكركم على فكرة عمل صدقة جارية على أرواحنا، فعلى الرغم من أننا لم نطلب ذلك منكم، فإنكم قُمتم بفعله من أجلنا، وهذا نقدّره لكم جدًا.

فقال (سامي السهيلي): إن هذا أقل ما يمكننا فعله من أجلكم؛ فنحن من دمكم، كما أن أرواحكم عانت طوال هذه السنين، وآن لها أن تستريح ويترحّم عليها الناس.

فقال (شاكر شلبي باشا): هذه هي آخر مرة قد نراكم ونتحدث إليكم فيها، أخبرونا ماذا سوف تفعلون بهذا القصر؟

فقال (رامي): لقد اتفقنا بعد موافقة (نبيلة المتولي) بصفتها وريثة آخر مُلّاك القصر هي وأسرتها أن نجعل هذا القصر مزارًا مفتوحًا للناس، يحضرون إليه للاستمتاع بجماله، ونُقيم فيه ندوات مجانية للناس لتثقيفهم وتوعيتهم، ونحوّله إلى مركز ثقافي ينير العقول، ويُبهج النفوس بعد أن كان مكانًا كئيبًا مخيفًا موحش المنظر.

فأجابه صوت (شاكر باشا): ما أجمل تفكيركم يا أبنائي، سنغادر الآن ونحن مطمئنون عليكم، فقد قُرّت أعيننا بكم بعدما فعلتموه من تغيير في حياتكم ومن تغيير مصيرها، فقد كنّا نخاف عليكم أن تسيروا على نفس النهج الذي كنّا عليه، ولكن بعدما فعلتموه من أجلنا ومن أجل أنفسكم صرنا نشعر جميعًا بالفخر بكم والاطمئنان عليكم.

وقال صوت (مصطفي باشا): لا تنسوا أبدًا أن الخير يأتي بالخير، والإحسان لا يقابل إلا بالإحسان، ولا تفعلوا شيئًا ليتحدث عنكم الناس بأنكم فعلتم، ولكن اجعلوا جميع أعمالكم خالصة لوجه الله حتى يتقبّلها منكم، ويضاعفها لكم، وتجدون نتيجة هذه الأعمال في حياتكم.

وقال صوت (نجلاء هانم): لا تنسونا يا أحفادنا وزوروا قبورنا من وقت لآخر!

فأجابوا جميعًا: لن ننساكم؛ فأنتم أهم مَن التقينا بهم في حياتنا، وستظل ذكراكم في قلوبنا ما حيينا.

ومرّت دقائق من الصمت علم منها الجميع أن أرواح أجدادهم قد غادرت القصر الذي ظلت حبيسة فيه لسنوات طويلة، وأُسدل الستار على آخر فصل يربطهم بالقصر.

-١٨-

لم تمر أيام طويلة بعد ليلة الوداع، فقد اجتمع الأصدقاء الثمانية مرة أخرى في القصر، ولكن حال القصر لم يكُن مثل الليالي السابقة، فقد دبّت في حديقته الحياة من جديد، فالورود التي كانت تحف جنباته في الماضي قد عاد إليها رونقها، وعادت الفراشات تداعبها بعد أن وجدت يد الاهتمام، والأشجار التي كانت في الماضي تئِن من الإهمال، عادت إليها نضرتها ورجعت لها العصافير ترفرف بأجنحتها عليها، وتغرّد بأجمل الألحان، والنخيل النادر الباسق قد عاد ليناطح السماء بجماله، فحين تجد الطبيعة اليد الحانية والاهتمام تُظهر جمالها الذي أودعه فيها الخالق، والأتربة التي كانت تتكدّس على جدران القصر قد أُزيلت، فكشفت روعة تصميمه، وبهو القصر الذي كان شاهدًا على الحفل الذي كان بداية كل شيء، دبّ فيه النشاط، وامتلأ بالناس الذين ينتظرون موعد الندوات، والناس الذين حضروا لرؤية هذا القصر الذي أصبح صرحًا ثقافيًا، بعد أن صدق الرفاق الثمانية في وعدهم وتحويله إلى مكان يليق بتاريخه، مكانًا يشعُّ جمالًا وثقافة، بعد أن كان مكانًا تصدر عنه الحكايات المخيفة الكئيبة، وتحوّلت غرف القصر في الطابق الأول والثاني إلى غرف تُقام فيها الندوات أو معارض لوحات فنية.

كان الرفاق الثمانية ينظرون إلى رواد المكان بسعادة بالغة، فوجود الناس الآن هنا دليل على نجاحهم في تغيير حياتهم، بل وحياة الناس، ودليل على أنهم أصبحوا بالفعل مفيدين لمجتمعهم.

ووسط هذه الفرحة العارمة التي تجتاح صدورهم قال (رامي):

ما أجمل أن تكون سببًا في إفادة الناس وفرحتهم.

فقال (حامد): معك حق، أن ترسم ابتسامة على شفاه الآخرين هذا أجمل ما قد تفعله في حياتك.

وقالت (نجلاء): أشعر بأن روحي تحلّق في جنبات القصر من فرط السعادة، من كان يصدق أن يتحوّل القصر الذي كان محور الحكايات المخيفة إلى مكان يأتيه الناس من كل مكان ليتعلموا فيه، ويستمعون إلى ندوات تثقيفية!

فأجابتها (نبيلة): لولا أرواح أجدادنا التي ظهرت لنا واجتماعنا في الليلة الموعودة، لما كان ما نراه الآن حقيقيًا.

فقال (نادر): لقد غيّرت هذا الليلة كل شيء في حياتنا، وفي تاريخ هذا القصر.

وأردف (سامي) قائلًا: إن صدق كلٌ منا في وعده لنفسه، وصدقه في رغبته في تغيير حياته هو ما أدى إلى خلق هذه الحالة من السعادة التي نشعر بها، ويشعر بها روّاد القصر الآن.

وقال (وليد): الصدق في النية يحوّل المستحيل إلى حقيقة، ويجعل كل ما قد يستبعد الناس حدوثه حقيقيًا.

فابتسم (هاني) وقال: ما أروع حديثكم أيها الرفاق، لقد قلتم جميعًا كل الكلمات الإيجابية والكلمات الجميلة، ماذا سوف أقول أنا! ولكن علينا أن نحافظ على عهدنا، وأن نحرص على التغيير الذي حدث في حياتنا.

فضحك الجميع ثم قال (رامي): معك حق يا (هاني)، وأضيف إلى

كلامك، يجب أن تكون كل أعمالنا المرئية أو المسموعة أو المكتوبة الغرض منها هو إفادة الناس ونفعهم؛ لأن كل ما يفيد الناس سيُكتب له البقاء، وليس هناك سعادة أكبر من أن تكون سببًا في إسعاد الناس.

أكّد الجميع على ما قيل، وذهب كلٌ منهم إلى مكان انعقاد ندوته في القصر، ومنذ هذا اليوم أصبح القصر مركزًا إشعاعيًا للثقافة والسعادة، يتجمع فيه الناس لرؤية جماله، والتعلُّم مما يُقدّم فيه من ندوات ومعارض مختلفة، وقد تحول من قصر ملعون إلى قصر محبوب، وكان السبب في هذا هو صدق الرفاق الثمانية في عهودهم على التغيير بعد الاعتراف بخطاياهم، فكل إنسان يخطئ، فهذه هي طبيعة الإنسان، ولكن أفضل إنسان هو من يعترف بأخطائه، ويُصلح من شأن نفسه.

انتظروا...

كان آخر عهدي بالرفاق الثمانية على الوضع الذي ذكرته لكم، حتى ظننتُ أنهم بالفعل قد صدقوا في الندم على ما فعلوه من قبل، وقد كان هذا الظن صحيحًا وحقيقيًا إلى أن وصلني اتصال هاتفي من صديق لي كان من ضمن دائرتهم المقربة، وبعد السلام المتبادل، وبعد أن أخبر كلٌ منّا الآخر بآخر مستجدات حياته، فاتحني في موضوعهم، فقد كان يعلم أنني قد سافرت لمدة عام خارج البلاد، ولظروف خاصة كنت قد ابتعدت عن مواقع التواصل الاجتماعي، فقال لي:

هل علمت ما حدث للرفاق الثمانية؟

فقلت له: آخر عهدي بهم حين التقيتهم في حفل افتتاح القصر، أن

شخصياتهم قد تغيّرت بعد ما حدث لهم ليلة حفلة التوقيع، وبقربي منهم حينها علمت أن سبب التغير هو الندم على أفعالهم السابقة، ورغبتهم في أن يجعلوا لحياتهم نسخة أفضل من التي كانت عليها، وعلى مدار عام كامل لم أرَ منهم إلا الأفعال الجيدة والنافعة، فقد عرفتهم وخالطهم قبل التغيير وبعده، وأدرك تمامًا أنهم أصبحوا أفضل من ذي قبل، فهل حدث منهم شيء آخر في العام الذي سافرت فيه وابتعدت فيه عن مواقع التواصل الاجتماعي؟

فقال صديقي: ستة منهم استمروا في السير على النهج الجديد الذي رسموه لحياتهم الجديدة، فلم يُرَ منهم تصرُّف واحد مُسيء، بل كانت كل الأخبار التي تُنشر عنهم تتحدث عن أفعالهم الحسنة، ومساعدتهم للناس، وتقديمهم ندوات وورش عمل بالمجان مرات كثيرة، أما الاثنان الآخران، مع الأسف، فقد حدثت لهم أمور مؤسفة.

فسألته: ومن هما؟ وما حدث لهما؟

فأجابني: (سامي السهيلي)، و(حامد السلحدار)، أما الأول فكما تعلم كان مُحبًا للشهرة والمال، وبرغم التغيُّر المفاجئ الذي حدث له منذ أكثر من عام، فإنه في ظل الانفتاح السينمائي الذي حدث في الآونة الأخيرة أغراه بريق المال، فاستجاب لنداهة الشهرة التي كانت قد بدأت تنسحب من تحت أقدامه في ظل ظهور كُتّاب سيناريو آخرين، وما إن وصلته دعوة من أحد كبار الشخصيات حتى لبّى دعوته ورغبته في كتابة سيناريو لعملين جديدَين، ولكن كانت المعضلة في إيجاد أفكار جديدة تستطيع أن تنال استحسان الشخصية المهمة التي تريد أن تقدّم أعمالًا سينمائية تستطيع أن

تحطم الأرقام القياسية لشبّاك التذاكر، وعلى مدار شهرين كما علمت كان يعكف بالأيام في منزله، لا يخرج منه؛ علّه يستطيع إيجاد الأفكار التي تحقق المراد، ولكن مع الأسف عجز عن إيجاد الأفكار، وقد قابلته صدفة وسألته عن سر اختفائه فأخبرني بهذا، ولكن بعد فترة قصيرة علمت من صفحته عن موعد حفل إعلان فكرة أعماله الجديدة، وذهبت إلى الحفل وقد أعلن هو والمنتج صاحب النفوذ عن الفيلمين الجديدَين وموعد تصويرهما والانتهاء منهما، وبعد أقل من عام من الإعلان خرجت الأعمال للنور، وقد تصدّرت شبّاك التذاكر حتى انحصرت المنافسة بينهما، وحققا أرقامًا قياسية.

فسألته: هذا أمر جيد، ولكن أين المشكلة فيما ذكرته؟

فأجابني: المشكلة فيما سأقوله لك الآن، بعد نجاح الفيلمَين ظهرت على صفحات الجرائد حوارات صحفية مع اثنين من المؤلفين الشباب يتهمان (سامي السهيلي) بالسطو على أعمالهما ونسبها إلى نفسه، فقد قدم كل واحد منهما له سيناريو أحد الفيلمين الجديدين بعد وعده لهما بأنه سوف يقدمهما لأحد المنتجين، وأنه سوف يقوم ببعض التعديلات من أجل أن يكتب النجاح للسيناريو، وأنه سوف يكتب فقط أنه شارك في كتابة السيناريو نظير التعديلات، ولكن ما حدث أنه حذف اسم كلٍّ منهما من عمله، وكتب اسمه فقط دون أي تغيير في سيناريو الفيلمَين. ولأن الفيلمين قد حققا نجاحًا مُبهرًا، فكانت كل الصحف تتهافت على إجراء حوارات صحفية مع كلٍّ منهما، حتى أصبح الأمر حديث الساعة، وما زاد الطين بلة أن (سامي) قد حاول رشوة كلٍّ منهما بشكل منفصل نظير تكذيبهما لما قالوه من قبل، ولكنهما كانا أثناء جلستهما معه يسجلان له ما قاله،

وقد نشر كلٌ منهما التسجيل الذي يعترف فيه بسرقة العمل، وتقديمه نصف المال الذي أخذه من المنتج من أجل أن ينكرا ما قالاه من قبل.

وبعد هذه الفضيحة، رفع كلٌ من الشابّين عليه قضية تعويض، وقد ربحاها ودفع لهما كل ما أخذه من المنتج، وقد كان المبلغ بالملايين، وعلى إثر هذه الفضيحة ابتعد عنه جميع معارفه وأصدقائه وأُصيب بأزمة نفسية، وانعزل في قرية صغيرة حتى لا يقابل أحدًا يعرفه ويرى في عينَيه نظرة الشماتة والتحقير.

فقلت لصديقي: عجيب أمر الإنسان، بعد كل الشهرة التي حققها على مدار سنوات طويلة، وبعد التغيير الذي حدث في شخصيته يعود لمثل ما كان يفعله من قبل، من أجل المال مهما كان كبيرًا، حزين عليه بصدق، هذا ما حدث لـ(سامي)، ولكن ما الذي حدث لـ(حامد)؟

فقال: مع الأسف، كان الوضع مع (حامد) مؤسفًا أكثر من (سامي)، فبعد أن تغيرت شخصيته وتزوج، وقام بعمل ورشات عمل عن كيفية تقديم وإعداد البرامج بشكل مجاني، عُرض عليه تقديم برنامج في إحدى الدول براتب بالدولار شريطة التفرُّغ التام له، وقد علمت من أحد الأصدقاء المشتركين أنه كان مترددًا في قبوله، لأنه لا يريد أن يبتعد عن زوجته التي رفضت فكرة السفر لتلك الدولة، وكذلك لأن شرط التفرُّغ سوف يبعده عن العهد الذي قطعه على نفسه بأن يقدّم ما لديه من علم وموهبة في مساعدة غيره بتقديم الندوات والورش وغيرها، ولكن بعض الأصدقاء المقربين منه أقنعوه بأنه يستطيع بعد أن تنتهي مدة عقد برنامجه الجديد، أن يقدّم مرة أخرى الندوات

وغيرها دون أن يخسر هذه الفرصة، وبالنسبة لزوجته تستطيع أن تسافر إليه مرة كل شهر، أو في أي وقت حتى ينتهى البرنامج، بدلًا من أن يخسر المقابل المادي الكبير والفرصة التي قد تجعله أشهر مُقدّم برامج؛ نظرًا لاسم القناة الشهيرة، فاقتنع بالفكرة وبالفعل أمضى العقد، وسافر إلى تلك الدولة من أجل تصوير البرنامج، وعلى الرغم من أن التعاقد كان على موسم واحد، فإننا علمنا أنه أمضى عقدًا جديدًا لموسمين آخرَين، وقد حدثت بينه وبين زوجته مشكلات كثيرة بسبب هذا الأمر، وصلت إلى طلبها الطلاق منه، وقد علمت من صديقة لي أن سبب طلبها الطلاق كان اكتشافها خيانته لها مع عدد من الفتيات في الدولة التي سافر إليها، وفي بداية الأمر لم تصدّق ما عرفته، ولكن بعد أن شاهدت صورًا منشورة تؤكّد خيانته لها طالبته بالطلاق، خاصةً بعد أن نشرت إحدى الصحف هذه الصور وتسجيلاته مع بعض الفتيات التي تؤكد تحرُّشه وابتزازه لهُنّ، وحينها أنهت القناة التعاقد معه على الرغم من أنه قدّم موسمَين ناجحَين من البرنامج، لكن تلك الفضيحة أدّت إلى فسخ التعاقد معه؛ حفاظًا على سمعة القناة، وبعد تلك الفضيحة طلّق زوجته التي لم تستطع أن تحمل اسمه بعدها، وبعدما عاد من الدولة التي كان بها لم يكن يستطيع أن يخرج من منزله من تعليقات الناس، والتي كانت أغلبها مُهينة بعد فعلته، وكان حين ينام يستيقظ من النوم صارخًا؛ لأنه كان يشعر بأن هناك يد تحاول أن تخنقه، وكان ينطق حينها: أرجوك لا تفعل يا جدي!

وعلى إثر هذه الأمور، قرر أفراد أسرته إدخاله مصحة نفسية لينال الرعاية الصحية النفسية التي يحتاج إليها.

بعد أن أنهى صديقي حديثه، قلت له: لا أجد ما أقوله بصدق، ما الذي كان ينقصه ليفعل ما فعله، لقد كان ميسور الحال، وتزوج من فتاة جميلة تحبه، لماذا يضع نفسه في مثل هذه الأحداث، خاصةً بعد أن تغيرت أحواله إلى الأفضل، وامتلك كل ما قد يتمناه من هو في سنِّه، الشهرة والنجاح والزواج السعيد والمال، لماذا يقبل الإنسان أن يهين نفسه من أجل شهوة لحظية، أو يحطِّم حياته طمعًا في المزيد من المال.

تأسّفت أنا وصديقي عما حدث لـ(سامي وحامد)، وفرحت بأن باقي الرفاق ظلوا على عهدهم وإصرارهم على المُضي قدمًا في الطريق الذي اختاروه لأنفسهم، فكلما كانت النية في التغيير صادقة، مهما كانت الأفعال السابقة ومهما كانت المغريات؛ فالتغيير ممكن، ومهما أذنب الإنسان، فمع التوبة والبُعد عن الأخطاء يستطيع الإنسان أن يكون إنسانًا سويًا، وأنهينا الاتصال، وظل سؤال يدور بذهني، لماذا لا يكتفي الإنسان بما في يديه من نِعم، ولماذا لا يحمد الله على ستره، ويصرُّ على الاستمرار فيما يفعله حتى ينفذ رصيد ستره!

***

تمّت بحمد الله

٢٠٢٤-٦-٢٤

محمود سمير النشاشقي